

العنوان:

البنية المكانية في رواية ربح الجنوب لعبء الحميد بن هءوءة

مءكرة مكملة لنيل شهادة الماسءر

فرع : أءب عربى

ءخصص : أءب جزائرى

المىءان : لغة و أءب عربى

إشراف الءكءور :

إعءاء :

- بن عبء الله فءء الله

- سرىر إلهام

- ءارىء المناقشة : 2015-06-01

أمام لءنة المناقشة :

- الءكءور بن عبء الله فءء الله مشرفا و مقرا

- ء/بن عبء الله واسىنى ممءءنا و مناقشا

- ء/براھم سمىر رءىسا

شكر و عرفان

الحمد لله الذي تتم بفضله السالك نعمة الله أن وفقني لإكمال هذا العمل ونسأله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علما الحمد لله الذي خلق ورزق وعلم وألمه وهدي للتي هي أقوم .

ثم الصلاة والسلام على النبي الأمي الذي علم المتعلمين قول "من يسلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتصبح أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "

أشكر كل من ساعدنا في إعداد هذا البحث وأخص أشكر الأستاذ المشرف بن محمد الله فتح الله على قبوله الإشراف على مذكرتنا وعلى النشاع والتوجيهات القيمة التي قدمها لنا ، كما أتقدم بالشكر إلى من علمني حرفا من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي إلى جميع أساتذتي عبر كامل مسيرتي الدراسية .

كما أتقدم بالشكر الكبير إلى أمي الغالية و الأب الغالي اللذان كانا لي خير سند في اتمام هذا البحث

وأرجو الله أن تكون قد وفقني لما هو خير لي وللملة الأمة

"إن وفقني فمن الله وإن لم أوفق فمني" عمر بن الخطاب

سريـر إمام

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي انعم علينا بنعمة المكان ، وجعل لنا مستقرا ناوي إليه أما بعد:
فلقد استطاعت الرواية في القرن التاسع عشر أن تثبت وجودها في الساحة الثقافية العالمية ، و إن تتصدر قائمة الأجناس الأدبية ؛ بفعل ما تتوفر عليه من مرونة ، وقدرة على مواكبة مجريات الواقع ، إضافة إلى إسهامها في إنتاج المعرفة ، وبث الأفكار الإيديولوجية و السياسية و الاجتماعية.

و استمرت الرواية العربية في التطور إلى أن أثبتت جدارتها في النصف الثاني من القرن العشرين في تصدر ما سواها من الأجناس الأدبية ؛ مما أدى إلى تجزئتها في الوعي الثقافي العربي ؛ باستقطابها اهتمام القراء في العلم العربي ، بل و هيمنتها على مساحة القراءة ، أما الرواية الجزائرية ، فقد عرفت هي الأخرى تطورا كبيرا بعد تجاوزها لمرحلة التمرين ، و النضج الفني، فصدرت الكثير من الأعمال الروائية التي شكلت فيما بعد حيزا لا يمكن تجاهله في خارطة الرواية العربية ؛ على رأسها رواية " ربح الجنوب" لمؤلفها عبد الحميد ابن هذوقة ، والتي تناولها النقاد و الدارسون في شكل مقالات أو مداخلات ، حيث لمسنا انعدام التناسب بين النص الروائي و مجمل الأبحاث و الدراسات النقدية المشتغلة عليه بخاصة على بعض مكوناته الفنية و في مقدمتها المكان، هذا المكون الذي أغفلته اغلب الدراسات مقارنة ببقية مكونات الرواية ، رغم ما يتمتع به من دور في إقامة دعائم الرواية ، و الحفاظ على تماسك عناصرها ، فالمكان ليس مجرد عنصر سردي في الرواية فحسب و إنما يساهم في الكشف عن أبعادها الدلالية بالتعاون مع باقي العناصر السردية الأخرى.

و يقف وراء اختياري للمكانية في الرواية الجزائرية ، بالأخص في هذا الخطاب الروائي المتميز - ريح الجنوب- للأسباب التالية :

أولاً: لأهميتها في تاريخ الأدب الجزائري ، و ثانياً: لان المكان يظهر فيها بشكل كبير، و لأنها تتسم بالثراء و الغنى و غوص في أعماق الواقع الوطني عامة و القومي خاصة - الريف الجزائري- وريح الجنوب نتاج خبرة و تجربة فنية ناضجة ، و رغبة حادة من الكاتب في لفت انتباه القارئ إلى كل ما هو مثير في مجريات الواقع المعاش ،و ازداد شغفي بهذا الموضوع ، بعد اطلاعي على العديد من الأبحاث و الدراسات التي تناولت الرواية الجزائرية و التي لاحظت فيها عدم اهتمامها المباشر بالمكان ، حيث اكتشفت أن اغلب الدراسات اكتفت بمجرد الإشارة إليه ، من هنا تأكد لي أن المكان لم يحصى مثل غيره من العناصر السردية بالاهتمام الكافي ،رغم أهميته البالغة و اكبر دليل على هذا : و قد جهز ابن هدوقة المكان بما يتناسب و الحياة الريفية بمختلف تقلباتها و أيضا حتى نكتشف قدرة الكاتب في بناء هذا المكان من خلال تجربته الحياتية التي عاشها فنيا وواقعا ، و كذا إبراز براعته في بناء الأمكنة ،هذه الرواية التي بقيت الأقلام إلى اليوم تتناولها بالدراسة حيث تتأغم السرد فيها من خلال سبعة فصول ، وحتى نلج عالم الرواية و نحلل المكان فيها نطرح السؤال التالي:

هل كان المكان في رواية "ريح الجنوب" مجرد إطار يحوي القضايا المطروحة، أم كان من الأسباب التي ساهمت في إيقاظ تلك الصراعات في الرواية؟ و كيف صمم الكاتب الأمكنة بشكل يتناسب و موضوع الرواية؟

و لمقاربة صورة المكان ،و كشف دلالاته في هذه الرواية؛ اعتمدت المنهج البنوي الدلالي،حيث بدأت بتحليل البني المكانية بغية الوصول إلى دلالتها في الرواية،كما ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدمة،وثلاثة فصول و خاتمة؛تناول الفصل الأول منه:مفهوم المكان في بعده اللغوي،و الفلسفي،ثم تطرقت إلى المكان في بعده الأدبي، وتعرضت لأهم

الدراسات النقدية الغربية و العربية التي تناولته،و أشرت في الأخير إلى الأهمية التي يحضى بها المكان.

أما الفصل الثاني فقد رصدت فيه أهم أنواع الأمكنة في رواية ربح الجنوب، و استعنت على رصدها وكشف دلالتها بثنائية المكان المفتوح والمكان المغلق، أما الفصل الثالث؛فقد تناولت فيه المكان بدراسة العلاقات المكانية،حيث تناولت فيه أهم هذه العلاقات ، و أشدها تأثيرا في البنية الدلالية للمكان و تتمثل في علاقة المكان بالمكونات السردية؛أي علاقته بالأحداث و الشخصيات والزمن.ثم خلس البحث إلى خاتمة ضمنت فيها بعض ما توصلت إليه من نتائج.

و تجدر الإشارة إلى أن البحث استعان بمراجع فنية و فكرية متنوعة، من بينها:

1-جماليات المكان لشاكر النابلسي

2-جماليات المكان لغاستون باشلار

3-نحو رواية جديدة لآلان روب جرييه

إلى غير ذلك من المراجع، كما لم يخل هذا البحث من بعض الصعوبات؛ والتي تعلق بعضها بتشعب الموضوع و صعوبة الإلمام به و كذا الحاجة إلى مراجع و مصادر فكرية متنوعة لفهم الظاهرة المكانية في الرواية المختارة،كما لا ننسى ضيق الوقت الذي عرقلني كثيرا في انجاز هذا البحث، لكن طرافة الموضوع و مساعدة الأستاذ المشرف و دعمه لي هون علي الكثير من الصعوبات و المشاق التي اعترضت سبيل البحث ، و اوكد مرارا انه لولا أستاذي المشرف : الدكتور بو عبد الله لما استوي البحث على صورته هذه، فله مني كل الشكر و الامتتان،أقبلت على هذا البحث وعلى هذا الموضوع و كلي علم بصعوبة و تشعب دروبه؛لان المكان قرين الحياة،و حاضن الوجود و إلا لما بدا الله بخلق الأرض كمكان يحتوي الإنسان، و يبقى هذا البحث مجرد محاولة تطرقت فيها لقضية المكان في الرواية الجزائرية ، بهدف لفت الانتباه إليه.

فصل تمهيدى

- 1- مفهوم المكان
- 2- أنواع المكان
- 3- أهمية المكان

- مفهوم المكان: تشير لفظة "المكان" الكثير من الدلالات و المعاني المختلفة، منها المفهوم اللغوي المجرد من القرائن الدلالية التي تتخذ أبعادها من مختلف السياقات التي تنتجها المعرفة النصية، و منها "المفهوم الفلسفي" و الذي اخرج مصطلح " المكان" من المفهوم العلمي الدقيق إلى آفاق التصور و التخيل الذي يخاطب الوجدان، و منها ما هو "أدبي" هذا الأخير الذي اتخذ أبعاداً شتى في مختلف الدراسات التي أنجزها النقاد و الدارسون¹

1-1- المفهوم اللغوي لمصطلح المكان

يعني المكان من الناحية اللغوية: الموضع الثابت، المحسوس القابل للإدراك ، و يتنوع من حيث المساحة و الحجم و الشكل، يقول ابن منظور في مادة {كون} أن المكان هو: "الموضع، و الجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع و العرب تقول: كن مكانك، قم مكانك، اقعد مقعدك" فقد دل على انه مصدر من كان أو موضع منه ، و إنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية² و يتضح لنا من التعريف أن المكان هو الموضع الذي يعيش و يتطور فيه الإنسان و أن المكان مشتق من مادة {كون} على وزن {مفعّل}، و يؤكد هذا في قوله: "المكان اشتقاقه من كان يكون، لكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية" يعني موضع الشيء أي المحل الذي يحل فيه ويتموضع"³.

1- ينظر بأديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد الأردن، 1429هـ/2008م، ص169.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، المجلد، 13، دار صادر، ط4، بيروت لبنان، 2005، ص136.

3- لسان العرب، ص113

و يضيف احمد رضا: "المكان الموضع الحاوي للشيء جمع أمكنة و مكن وجمع الجمع أماكن" ¹ وهنا يمكن القول بان المكان يدرك إدراكا حسيا يبدأ أولا بخبرة الإنسان بجسده ،هذا الأخير الذي يعد مكانا ،و موضع القوى النفسية و العقلية و العاطفية و الحيوانية للكائن الحي ليتعداه بعدها إلى اقرب مكان إليه كالغرفة و غيرها من الأماكن.

أما المكان من الناحية الدلالية:

المكان: "الموضع و المكانة،يقال فلان يعمل على مكينته و المكانة المنزلة عند الملك،و الجمع مكانات و قد مكن مكانه فهو مكين" ². و "مكنته من الشيء و أمكنته منه فتمكن منه و استمكن.... و أما أمكنني الأمر فمعناه أمكنني من نفسه" ³

و في التنزيل الحكيم وردت لفظة مكان بمعنى المستقر و منها قوله تعالى **وَإِذْ يُنَادِي الْمَلَأَ مِنْ السَّمَاءِ وَادْعُ إِلَهُكِ** ⁴ اي اتخذت لها مكانا نحو الشرق

و قال تعالى: **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ** ⁵ وردت بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منها قوله تعالى: **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ⁶ و يقال الناس على مكانتهم أي على استقامتهم ⁷

ووردت كلمة مكان عند اللغويين بمعان متقاربة تكاد تتفق على أن المكان يعني:الموضع،المحل،المكانة الرفيعة،الرزانة و الوقار،القوة و الوضوح،الثبات و الوجود في مكان ما،كما يطلق المكان على وكنات الطير و المنازل و نحوها.

نستنتج أن الدلالة اللغوية للفظه "المكان"تجمع بين الدلالة المعنوية و الدلالة المادية المحسوسة،ولهذا المصطلح مرادفات تستعمل للدلالة عليه:

الفضاء،المحل،الحيز،الموقع،المجال،الفراغ،الخلاء،الملا،البيئة،البقعة.....و ما إلى غير ذلك من الألفاظ المتقاربة في المعنى.

1-أحمد رضا : معجم متن اللغة ، المجلد 05 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1960 ، ص 334 .

2-لسان العرب : ص 82 .

3-الزمخشري : أساس البلاغة ، تح ، باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ط 1 ، 1998 ، ص 223 .

4-سورة مريم ، الآية 16 .

5- سورة (ق) ، الآية 41 .

6- سورة مريم ، الآية 57 .

7- الرازي : مختار الصحاح ، تح تع ، مصطفى ديب البغا ، دار الهدى للطباعة و النشر ، عين مليلة ، الجزائر ، ط 4 ، ص 399 .

1-2- المفهوم الفلسفي للمكان

لقد شغلت قضية المكان اهتمام الفلاسفة القدماء بداية من أفلاطون و أرسطو، و انتهاء بفلاسفة العصر حتى و إن لم يتمكنوا من وضع مفهوم دقيق له، حيث عرف أفلاطون PLATO "467-347 ق.م" المكان قائلاً: "الحاوي للموجودات المتكاثرة، و محل التغيير و الحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر الحقيقي"¹ "أي أن المكان يحوي الأشياء، ولا يستقل عنها و يقبلها، ويتشكل و يتجدد بها و من خلالها، و هو بذلك "لا يقبل الفساد و يوفر مقاما لكل الكائنات ذات الصيرورة و الحدوث".²

أما "أرسطو" ARISTOTE "384-322 ق.م" فقد تناول موضوع المكان بشي من التفصيل و الدقة، و خاصة في كتابه "السماع الطبيعي" PYSIO الذي وضع فيه كل اجتهاداته حول المكان فيعرف المكان بقوله: "الحد اللا متحرك المباشر الحاوي او السطح الحاوي من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي"³، فالمكان في نظره موجود و لا يمكن نفيه أو إنكاره مادما نشغله و نتحيز فيه" و كذلك إدراكه عن طريق الحركة و أبرزها حركة النقلة من مكان لآخر.

و يمكن أن نلخص رؤية أرسطو للمكان في النقاط التالية:

- 1- انه الحاوي للأشياء
- 2- انه ليس جزءا من الشيء فهو مساو للمحوي "الشيء"
- 3- أن فيه الأعلى و الأسفل
- 4- أن فيه الخاص و المشترك؛ فالمكان الخاص هو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره.... و الجسم المشترك هو الحيز الذي يشغله جسمان أو أكثر على حد قول أرسطو⁴.

1- محمد علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة و مباحثها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط2، 1984، ص124

2- حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة و الاعلام، بغداد العراق، ط1، 1987 ص27-28

3- محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1987، ص171

4- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة، دط، 2007، ص461.

إذن نلاحظ أن التصورات السابقة للمكان عند الفيلسوفين "أفلاطون و أرسطو" تقوم على إدراك الإنسان الحسي الملموس للمكان، بمعنى أن المكان وليد الإحساس و الحسية. أما عند الفلاسفة المسلمين فلا يختلف مفهوم المكان لديهم عن مفهومه في الفلسفة اليونانية، وخاصة المفهوم الأرسطي المقر بوجود المكان، و عدم تأثره بما يحتوي من أجسام، و من بين الذين أفادوا من فلسفة أرسطو المكانية "الكندي، الفارابي...." حيث اجمعوا على أن المكان هو "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم و ينفذ فيه أبعاده، و يراد به الحيز" ¹ و سار أبو حيان التوحيدي في مقابساته على نحو من سبقه من الفلاسفة العرب "الكندي-الفارابي" في حين اختلف رأي الرازي عن آراء سابقيه من الفلاسفة العرب الآخذين بمذهب "أرسطو" في المكان فيميز بين نوعين من المكان :

أ-المكان الكلي: المطلق الذي يساوي الخلاء المطلق وهو قديم لا يوجد فيه متمكن.

ب-المكان الجزئي: الذي لا يمكن تصوره بدون متمكن.

نجد الرازي هنا يقر بوجود الخلاء، و يعتبر وجوده ممكنا ،فيخالف بهذا رأي أرسطو و من هنا نحوه من الفلاسفة العرب .

إذن فقد نشأ مفهوم المكان مع الفلسفة اليونانية، و كان أفلاطون أول من وضع مفهوم اصطلاحى للمكان، لكن اختلف الفلاسفة الذين جاءوا بعده في تحديد مفهومه نظرا لاختلاف المنطلقات التي تصدر عنها أبحاثهم. ²

1 جميل صليبياء، المعجم الفلسفي "عربي-فرنسي-انجليزي-لاتيني" بيروت لبنان، د.ط 1994، ص 412.

2- نظرية المكان في الفلسفة ابن سينا، ص 38

و لقد شغل مفهوم المكان فلاسفة العصر الحديث، فذهب ديكارت "DESCARTES" إلى أن المكان هو: "ماهية الأشياء ذاتها و جوهرها المادي، فامتداد المادة و تحيزها ليس عرضا طارئاً عليها.... فالمكان إذا جوهر و ليس في الكون خلاء".¹

كما قال "نيوتن" "NEWTON" بواقعية المكان، غير أن وجهة نظره تختلف عن وجهة نظر ديكارت فهو يؤمن "بوجود مكان مطلق لا علاقة له بالأشياء الخارجية و لا يتغير بتغير الأشياء في حركتها و تنوعها".²

أما كانط "KANT" فيرى بأن المكان هو: "صورة أولية ترجع إلى قوة الحالة الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس".³

كما ميز "هوفدينغ" "HOFFDING" بين المكان النفسي والمكان المثالي فيذهب إلى أن "المكان النفسي الذي ندركه بحواسنا، مكان نسبي.... على حين أن المكان المثالي الذي ندركه بعقولنا مكان رياضي مجرد و مطلق".⁴

و لقد أدت هذه التصورات العلمية المختلفة للمكان إلى اختلاف بين الفلاسفة و العلماء، و الذي أعطى بدوره دفعا جديدا للفكر الإنساني فأصبحت النظرة للمكان في العصر الحديث أكثر تطورا و فاعلية بفعل التوسع المعرفي الذي قاد الإنسان إلى إدراك أهمية المكان و محاولاتها تفسيره، هذا الأخير الذي يبقى مجرد تصور عقلي، يهدف إلى الكشف عن علاقة الإنسان و الأشياء بالمكان، و من ثم فإن "مناقشات الفضاءية في الرواية لن تكون ذات معنى بدون هذا السياق، و لن يصير مدى الفضاءية في الرواية جليا إلا عندما يدرك المرء أن الشكل الروائي في الأدب ذو علاقة قطعا في جذوره مع المواقف الفلسفية و الفنية و العلمية السائدة تجاه الفضاء الفيزيقي".⁵

1- محمد يعقوبي: الوجيز في الفلسفة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط.3، د.ت، 2000 ص350

2- نفسه

3- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت لبنان، د.ط، د.ت، ص222

4- المعجم الفلسفي "عربي-فرنسي-انجليزي-لاتيني" ص413

5- جوزيف اكسبر: شعرية الفضاء الروائي، تر حسن بو حماسة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2003، ص17

نلاحظ مما سبق أن جدالات الفلاسفة حول المكان الفيزيقي شكلت الجذور الأولى لإشكالية المكان الروائي، وقد أكدت اجتهادات الفلاسفة قديما و حديثا مدى حرص الإنسان و إدراكه لأثر المكان في حياته و لدوره الكبير في تحديد العلاقة بينه وبين العالم الخارجي .

1-3- المفهوم الأدبي للمكان

لقد شكل المكان محورا من المحاور الأساسية التي تدور حولها نظرية الأدب إذ أصبح عنصرا شكليا من عناصر العمل الفني، و ليس مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية فحسب. و لقد حدد النقاد مفهومه متأثرين في ذلك بمختلف المفاهيم التي طرحها الفلاسفة: كالحيز، المجال، الفضاء. و كلها تصب في مفهوم المكان، حيث نشأ الاهتمام بهذا الأخير نتيجة ظهور بعض الأفكار و التصورات التي نظرت إلى العمل الفني على انه: "مكان تحدد أبعاده تحديدا معينا، و هذا المكان من صفاته انه متناه غير انه يحاكي موضوعا لا متناهي هو العالم الخارجي الذي يتجاوز حدود العمل الفني"¹

و برغم من المكانة التي يحضى بها المكان، بصفته مكونا أساسيا من مكونات النص الحكائي إلا أن حظه من الدراسة الأدبية لا يزال فقيرا خلافا للمكونات الأخرى، كالزمن، الشخصية، و التي نالت من العناية و الاهتمام ما يكون نظرية نقدية في الموضوع و لاسيما عنصر الزمن، وهذا راجع إلى ما كان يتردد من أن الزمن هو "الشخصية" الرسمية في الرواية المعاصرة² مما جعل النقد يميل إلى البحث فيه و يميل عن المكان الذي مازال ما كتب حوله لحد الآن حسب بحراري يمثل مسارا جانبي المنحى و غير واضح³

1- مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق 2011، ص34

2- ألان روب جرييه: نحو رواية جديدة ، تر مصطفى ، دار المعارف د.ط ، مصر ، ص 134

3- حسن بحراري : بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمان – الشخصية) المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ، 1990، ص25

و سنقف عند بعض الآراء المختلفة التي وقف عندها النقاد (الغرب-العرب) إزاء مصطلح المكان في دراستهم النقدية.

أ-المكان في النقد الغربي

لقد تعددت المؤلفات التي تناولت المكان، و اختلفت معها مفاهيمه فكان من بين هذه التعريفات المفهوم الذي وضعه "غاستون باشلار" في كتابه "جماليات المكان" حيث يقول: "المكانية في الأدب العظيم تدور حول هذا المحور"¹ فيرتبط المكان بجوهر العمل الفني، و الذي يبيت فينا ذكريات بيت الطفولة، حيث يعد هذا الأخير جذر المكان ، و يرتبط بدينامية الخيال بالنسبة للمبدع و الملتقي. و يتبين لنا هنا أن "باشلار" قدم المكان في بعده الزمني حيث قال: "يمنح الماضي و الحاضر و المستقبل البيت ديناميات مختلفة"² حيث يصبح الإنسان بدون بيت كائنا مفتتا. و ظهرت العديد من الدراسات بعد الدراسات بعد ذلك كدراسة الباحث "يوري لوتمان" الذي عرف المكان على انه: "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر، أو الحالات، أو الأشكال المتغيرة....تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة، العادية مثل: الاتصال، المسافة...الخ"³، إضافة إلى ما سبق فقد جاء لوتمان بأمر مهم و هو تصويره للصفات المكانية في تشكيلاتها الاقليدية حيث إن مفاهيم مثل "يسار/يمين" - "أعلى/أسفل" تلخص نماذج العالم الاجتماعي، الديني، السياسي و الأخلاقي.

1-غاستون باشلار: جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط2 ، بيروت لبنان (1014هـ / 1984م) ، ص6

2-جماليات المكان ، ص38

3-محمد عزام : تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد كتاب العرب ، دمشق، 2003 ، ص193

كما حاول الفرنسيان "جورج بولي" و "جليير دوران" تقديم تنظيرات لعنصر الفضاء، إلا أن تحليلهما للمكان كان قاصرا على إدراك الأبعاد المختلفة لبنية المكان في تشكيلاتها و مظاهرها، فأثنى "رولان بورنوف" محاولا ملء الثغرات التي تركها "بولي و دوران" و ذلك حين تساءل عن الضرورات الداخلية التي يخضع لها التنظيم المكاني في الرواية، مقترحا وصف الحدث بطريقة دقيقة، و تحليل مظاهر الوصف و الاهتمام بوظيفة المكان في علاقته مع الشخصيات والمواقف و الزمن.

فالمكان عنصر سردي مهم تتجلى أهميته في النص من خلال العلاقات و التفاعلات التي يقيمها مع العناصر الأخرى في السرد، والتي من خلالها يتمكن هذا العنصر من تأدية وظيفته المرجوة. أما الناقدة جوليا كرسيفا فلقد أدخلت المضمون الثقافي في تصورهما للمكان، و تذهب إلى أن المكان الجغرافي "متصل بالواقع الخارجي للنص انطلاقا من إشارته إلى الظروف السوسيوثقافية و القيم الثقافية لبنية النص" ¹ في حين أن المكان المتخيل هو الذي يصور الحالة النفسية للروائي، و شخصيات الرواية، فلا يصور المكان كما هو قائم فعليا دون تدخل شعوري من الروائي، فهو لا يتعامل مع المكان كحيز جغرافي بل هو في نظره حيز إنساني يتفاعل معه و يتأثر به .

ب-المكان في النقد العربي

لم يظهر مصطلح المكان في النقد العربي إلا مؤخرا ذلك انه لم يحظى باهتمام الروائيين و النقاد العرب حقبة طويلة؛ إذ عدوه مكملًا للشخصيات و الحدث مركزين على جوانب أخرى في النص، و ظهرت أولى بوادر الاهتمام بهذا المصطلح مع الناقد "غالب هلسا" الذي ترجم كتاب "غاستون باشلار" تحت عنوان: جماليات المكان، حيث اثر هذا التعريب في انتشار مفهوم المكان في النقد العربي الحديث، فصار بذلك مفهوم "جماليات المكان" واضحا بتأثير المناهج النقدية الحديثة و تعريبها و اشتغال المترجمين على هذا المفهوم .

¹ - عبد الحق منصور بوناب: واقعية المكان في قصص السانحي ، المجلة العلمية، حوليات الآداب و اللغات ، العدد1، المسيلة ، الجزائر 2013، 254

هذا إضافة إلى التعريب الذي قامت به "سيزا قاسم" و المتعلق بالفصل المعنون بـ "مشكلة المكان الفني" من كتاب "بناء العمل الفني" للعالم السوفييتي "يوري لوتمان"، الذي انطلق في تحليله للمكان من مقولة أساسية مفادها: أن اللغة هي النظام الأولي لتحويل العالم إلى انساق، و هي ليست قائمة من التسميات، و لكنها مجموعة من العلاقات الخاضعة لقواعد وقوانين¹.

و توالى الدراسات بعد ذلك، نذكر منها دراسة الناقد المغربي "حميد لحميداني" "بنية النص السردى" الذي اعتبر المكان بمثابة العمود الفقري لأي نص، كما ميز بين المكان و الفضاء حيث ذهب إلى أن الفضاء اشمل و أوسع من معنى المكان، و المكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء².

أما الباحث "عبد الملك مرتاض" فقد ميز في كتابه "في نظرية الرواية" بين المكان الحقيقي و المكان الأدبي، وهذا الأخير؛ عالم بلا حدود و هو امتداد مستمر مفتوح على جميع الآفاق و الاتجاهات، و قد اثر مصطلح "الحيز" بدلا من مصطلح المكان أو الفضاء، فيقول: "إن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل - قاصر بالقياس إلى الحيز لان الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء و الفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النثر والوزن و النقل و الحجم"³

1- عبد الله أبو هيف: جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية، مجلد 27، 2005، ص 125

2- حميد الحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1 بيروت، ص 29

3- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د. ط، 1998، ص 160

1-4- أهمية المكان

لقد اثبت المكان منذ القديم دوره القوي في تكوين حياة البشر، و ترسيخ كيانه، و تثبيت هويتهم، و تحديد تصرفاتهم، و إدراكهم للأشياء كونه شديد الالتحام بذواتهم، حيث أن خبرة الإنسان بالمكان و إدراكه له تختلف عن خبرته بالزمان، فبينما يدرك هذا الأخير إدراكا غير مباشر من خلال فعله بالأشياء، فإن المكان يدرك إدراكا حسيا بطريقة مباشرة يبدأ بمعرفة الإنسان لجسده؛ باعتبار هذا الأخير مكن القوى النفسية و العقلية و العاطفية و الحيوانية للكائن الحي، كما يذهب إلى ذلك "يوري لوتمان" ¹ Yuri Autaman فالإنسان يعيش في جسده و به يموت إذا ما أصيب هذا الجسد، و إضافة إلى هذا الأخير فهناك مسافة تجاوز حدود جسد الإنسان لا تقل أهمية عنه و تختلف المسافة على المستوى الفردي أو القومي أو الاجتماعي، كما تختلف القيمة التي يضيفها الفرد على الحيز الذي يعيش فيه من مجتمع لآخر و الشيء المشترك بين جميع البشر هو أن الفرد يدافع عن حيزه و كثيرا ما يمنع الآخرين من الولوج إليه و قد قارن "مول و رومير" **MOT ET ROMIRE** ² الحيز أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان بالبصلة؛ فالفرد يحتل قلب البصلة و تمثل الأماكن المحيطة به طبقات البصلة أقربها إليه جلده الذي يمثل له الحد الفاصل بينه و بين العالم الخارجي ثم ثيابه، و قد يعتبر الناس في بعض المجتمعات أن مجاوزة هذه الطبقة أو الحيز هو اعتداء على الفرد، فإذا احتك فرد بآخر في الحافلة أو لمسها مثلا فإنه يشعر بوجوب الاعتذار لأنه اعتدى على الآخر و جاوز حدوده، و دخل حيزا لا يملك الحق في الدخول إليه، و في مقابل المكان الفردي هناك المكان الاجتماعي الذي يشكل نظاما اجتماعيا و اقتصاديا، تنتظم فيه العلاقات الاجتماعية داخل هذه المجالات، و لا تتوقف أهمية المكان عند هذا الحد فحسب بل تتعداه إلى الأعمال الفنية التي ينجزها الفرد مثل: المسرحية، الرسم و الرواية، هذه الأخيرة التي يشكل فيها المكان الفضاء التخيلي الذي يضعه الروائي، و يتخذة كإطار تجري فيه الأحداث، و هو رغم كونه مكونا أساسيا من مكونات النص الحكائي إلا أن حظه من الدراسات الأدبية ما يزال

1 يوري لوتمان : جماليات المكان، عيون المقالات الدار البيضاء، ط2، 1988، دار قرطبة، تر: سيزا قاسم درزا، ص59

2- مشكلة المكان الفني، ص60

فقيرا إذا ما قارناه بالمكونات الأخرى: الشخصية، الزمن، ما يكون نظرية نقدية في الموضوع لاسيما الزمن، وهذا راجع حسب "آلان روب جريه" إلى ما كان يتردد من أن الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة، مما جعل النقد يميل إلى البحث فيه و يميل إلى المكان حيث نظر إليه على أنه مجرد خلفية للأحداث و الشخصيات ،لكن الدراسات الحسية بدأت تفهمه على أنه كسائر العناصر الأخرى للقصة يقوم بدور فاعل في بنائها و تركيبها و منه تنطلق الأحداث،و فيه تسير الشخصيات .

لكن رغم ذلك فإن دراسة المكان ترسى بعد على منحى واضح رغم إقرار النقد بتشخيص المكان في الرواية فهو الذي يجعل من أحداثها شيئا محتمل الوقوع بالنسبة للقارئ ،أنه الدور نفسه الذي يقوم به الديكور أو الخشبة في المسرح بمعنى أنه لا يمكن أن نتصور أي حدث إلا ضمن إطار مكاني معين ،لذلك فالروائي بحاجة دائمة إلى التاطير المكاني لذلك لابد أن تحظى أسماء الأماكن بعناية اكبر لما يدور فيها من وقائع و أحداث و أقوال ،حتى يتسنى لنا تحديد موضع الأحداث و الأفعال و الشخصيات .

و عندما نتحدث عن المكان يتبادر إلى أذهاننا مباشرة كلمة "الزمان" أي عنصر الزمان،و هو مكون أساسي في القصة ،و كان الثاني يكمل الأول ،و الأول لا يستغني عن الثاني حتى أن الدراسات الحديثة اختصرتهما في كلمة واحدة "الزمان" على الرغم من أن المكان يدرك حسيا على عكس الزمان الذي يدرك إدراكا غير مباشر من خلال فعله في الأشياء فهما يتداخلان تداخلا مباشرا و متكاملا في شخصيات القصة و إحداثها حتى أنه يصطلح عليهما بلفظ "البيئة" .¹

فبيئة القصة هي حقيقتها الزمنية و المكانية ،أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي ،بأخلاق الشخصيات و شمائهم في الحياة فكما تحتاج الرواية إلى نقطة انطلاق في الزمن فإنها تحتاج إلى نقطة اندماج في المكان الذي يساهم في تنظيم حركة الشخصيات داخل الفضاء الروائي .

فمفهوم الهجرة لا يأخذ دلالاته في الرواية إلا بتحريك إحدى الشخصيات بين موقعين مختلفين من

1-اويده عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة) ، دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، 2009،ص 30

جملة المواقع المكونة للمكان في الرواية .

فالحدث الروائي محكوم بإحداثيتين: الأولى تتعلق باندماجه في الزمن ، و الثانية باندماجه في المكان رغم اختلاف طريقة إدراكهما ، فالزمن يمتد بعدا في المكان و هي الفكرة التي يشير إليها الناقد الفيلسوف "باشلار" حين تعرض في حديثه عن علاقة الزمان بالمكان. يتضح مما سبق إن المكان دعامة من دعائم البناء القصصي إذ يساعد على التفكير و الإدراك العقلي للأشياء ، و النية التي تنتظم مع الأحداث و الشخصيات في وحدة فنية متكاملة ، فتوظيف المكان في الإبداع القصصي من الوسائل الجمالية ذات التصورات البعيدة ؛ لما يحمله من ملامح ذاتية، و ساعات إبداعية ، و عواطف إنسانية ، و تجارب اجتماعية تجعل العمل متكاملا في بنيته ورؤاه، و بهذا يصبح المكان مكونا قصصيا جوهريا ، و عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية و الرمزية فهو "يتخذ أشكالا و تصورات ، و يتضمن معاني عديدة و في غالب الأحيان يكون الهدف من وجود القصة باكملها ¹ " .

1-5-أنواع المكان

اختلف مفهوم المكان من منظر لآخر ، و من باحث لآخر فتعددت زوايا النظر إليه و حاز على اهتمام الكثير من الباحثين ، و تبعا لتعدد المفاهيم تعددت الأنواع ، فهو ينقسم إلى أربعة أنواع عند "مول و رومير" " MOL ET ROMIRE "

1- "عندي": وهو المكان الذي أمارس فيه سلطتي، و يكون بالنسبة لي مكانا حميما و أليفا

ويعد إختراق هذا المكان من أشد أنواع التهجم على الحرية الشخصية ².

2- "عند الآخرين": هو مكان شبيه الأول في أنواع كثيرة، لكنه يختلف عنه من حيث إنني

اخضع فيه لسلطة الغير.

1-المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية ، ص34

2-سيز قاسم : القارئ للنص العلامة و الدلالة ، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، 2002 ، ص 44 .

3- نفسه

3- الأماكن العامة: و هذه الأماكن ليست ملكا لأحد معين، و لكنها ملك للسلطة العامة³

الناבעة من الجماعة، ففي كل هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته، و ينظم فيها السلوك و ليس حرا، لكنه عند احد يتحكم فيه.

4- المكان اللامتناهي: و يكون هذا المكان -بصفة عامة- خاليا من الناس، فهو الأرض التي

لا تخضع لسلطة احد، مثل: الصحراء، هذه الأماكن لا يملكها احد¹ بالتصرف

و قد حدد الروسي "باختين" أربعة أنواع للمكان ، و هي :

✓ المكان الداخلي.

✓ المكان الخارجي.

✓ المكان المعادي.

✓ فضاء العتبة، و هو المكان الذي يمر به البطل أثناء تنقلاته، مثل: البواب -النوافذ-

الحافلات-السيارات و البواخر.

✓ إن الأمثلة المقدمة، هي في الواقع أمكنة داخلية حتى و إن كان الدخول إليها أو منها

يفضي إلى أماكن خارجية.

فالمكان الداخلي، كما يقول: "باختين"، هو المكان المتعلق المحدود الذي ينفتح على أمكنة أخرى من خلال أثاثها أو أجهزة الإعلام.

أما المكان الخارجي حسب "باختين" فهو المكان المفتوح؛ أي المكان الذي يتصف بالتوسع كلما ابتعدنا عن المكان الأول، فعندما نخرج من الغرفة نجد المنزل، و بعد المنزل نجد الشارع....الخ. و أما المكان المعادي فهو المكان الذي نحس فيه بالضيق رغم اتساعه، كوجود شخص في مكان لا يرغب في العيش فيه أو تواجهه في بلاد الغربة، فالإحساس بالضيق يكمن في نفسية المتواجد فيه.

ينبني المكان عند "بروب"، من خلال دراستنا لمجموعة قصصية على ثلاثة اطر مكانية هي:

1- القارئ و النص ، العلامة و الدلالة ، ص 46 .

2- شريط احمد شريط ، بنية الفضاء في رواية " غدا يوم جديد" ، مجلة الثقافة 115 ، وزارة الثقافة و الاتصال 1995 ، 158 ص

- 1- **المكان الأصل:** و عادة ما يكون مسقط الرأس و محل العائلة والأنس، تحدث الإساءة في هذا المكان، فينتج عنها سفر الفاعل بحث عن وسائل الإصلاح و الانجاز.
- 2- **المكان العرضي أو الوقتي:** أطلق عليه "غريماس" مصطلح *espace* يعني انه مجاور المكان للمكان، و يمكن تسميته: المكان *para topique* التشرحي الحاف.
- 3- **المكان الذي يقع فيه الانجاز أو الاختبار الرئيسي:** و اسماء "غريماس" بالا مكان، و يعني به المكان الذي لا يمكن العيش البيولوجي فيه مثل: السد¹
- باحث آخر هو "شاكر النابلسي" قام بدراسة مهمة للمكان استنبط من خلالها مجموعة من الأمكنة في كتابه "جماليات المكان في الرواية العربية" و تتمثل هذه الأنواع في:
 - 1- **المكان الانبائي أو الافتتاحي:** و هو الذي يقدم الأمكنة التي تليه مباشرة.
 - 2- **المكان الصوتي:** و هو المكان الذي يبرز من خلال الصوت.
 - 3- **المكان الحيني:** و هو المكان الذي يذكرنا بالماضي أكثر مما يذكرنا بنفسه.
 - 4- **المكان الثالث:** و هو المكان الذي يأتي مزيجا من المكان الحاضر و مكان الذكرى.
 - 5- **المكان المقارن:** و هو المكان الذي يقدم فيه الروائي مكانين في لوحة واحدة، كي يقارن بين خصائص كل منهما.
 - 6- **المكان الرمزي:** و هو المكان الذي يرمز به الروائي من مكان آخر.²
 - 7- **المكان النفسي:** و هو المكان المصور من خلال خلجات النفس، و تجلياتها وما يحيط بها من أحداث و وقائع أي من خلال الحالة النفسية التي يكون فيها الروائي، و شخصيات روايته.³
 - 8- **المكان القاصر أو المكان المتعدي غير اللازم بذاته:** و هو المكان الذي لا يقوم بنفسه إنما بمساعدة مكان آخر أقوى منه.

1- ينظر سمير المرزوقي و جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، ص 62-

63

2 - جمالية المكان في الرواية العربية، ص 16.

3- نفسه

9- المكان العالة: و هو المكان الذي لا يقوم بأي دور في الرواية، لذا لا يأتي على ذكره الروائي إلا بالاسم فقط، لكي يستمتع القارئ بلذة تخيله أو تذكره.

10-المكان الرحمي: و هو المكان الذي يشبه رحم الأم، والذي يبعث على الدفء و الحماية و الطمأنينة في أيام الطفولة.¹

11-المكان الحلوي: و هو المكان الذي يحل فيه جسد أو تحل فيه روح، ويمكن أن نطلق عليه اسما لمكان المسكون ،كما يطلق عليه العامة ذلك.

12-المكان الفوتوغرافي: و هو المكان الذي يصور تصويرا ضوئيا خالصا، كما هو على "ارض الواقع دون تدخل من الروائي"²،و دون أن يكتسي بحالة نفسية من حالات الروائي المختلفة، و هو مكان من الأمكنة العاطلة عن العمل ،و التي تشكو من بطالة فنية في العمل الروائي .

29-المكان المتجر: و هو المكان الشبيه بالجمرة،و الذي يبقى متوهجا دائما بالذاكرة توهج الجمرة تحت طبقة "السكن"أو الرماد الخفيفة ،التي تغلف المكان،بفعل الزمن و المسافة التي يقطعها المكان،عبر الزمن و تحولاته،من أيام الطفولة إلى لحظة الاسترجاع.³

تعتبر الدراسة التي قام بها "شاكر النابلسي" تلبية لأمنية عزيزة،كان غالب هلسا قد أعرب عنها في مقدمته"جماليات المكان "لبشار"⁴ و هي أن يقوم بدراسة جماليات المكان العربي،لكن حال الموت دون تحقيق رغبته لذلك قام شاكر النابلسي بهذه الدراسة في تحقيق أمنية غالب هلسا بالعمل على ترسي فكرته عن المكان،حيث يعتبر غالب هلسا من أكثر الروائيين اهتماما بالمكان،فشكلت رواياته بذلك تربة خصبة لدراسة و استخراج أنواع عديدة له،وصلت إلى تسعة و عشرين نوعا.

1- نفسه ، ص 16 .

2- جماليات المكان في الرواية العربية ، ص 17 .

3- ينظر شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ط1 ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ص 1994 ، ص 15-21.

4- جماليات المكان في الرواية العربية ، ص 11 .

و تمخض اهتمام هلسا بالمكان من اقتناعه بفكرة اقتران العمل الأدبي بالمكان حيث يفقد خصوصيته بانعدام المكان و لقد أعطت جهود شاكر النابلسي للباحث العربي الحرية في إدراج الأمكنة الروائية ضمن هذا النوع أو ذاك و إن دل هذا التنوع عن شئ إنما يدل على أهمية المكان كمكون حكاوي لأبد منه في الرواية.

الفصل الأول

أنواع الأمكنة في رواية
ريح الجنوب

1-الأمكنة المغلقة

2-الأمكنة المفتوحة

أنواع الأمكنة

تحتوي أمكنة رواية ريح الجنوب على نوعين من الأمكنة هما :

الأمكنة المغلقة و الأمكنة المفتوحة ، و يعتبر هذا التقسيم ضرورة ملحة حتى نلم بجزئيات المكان و نتوغل أكثر في عالم المكان ؛ من اجل ذلك اتبعنا طريقة الثنائيات التي جاء بها يوري لوتمان والتقاطبات كما جاء بها حسن البجراوي ، و الثنائيات هي عبارة عن معنيين متعاكسين و متناقضين ، لا يمكننا استخراجها من النص الروائي إلا بعد التوغل في معنى الأمكنة ؛ بإظهار الأبعاد المحيطة بالمكان و الكشف عن درجة تأثيره و تأثره بكل ما يتصل به سواء كان ماديا أو معنويا ، و هي طريقة نعرض من خلالها الواقع الروائي و نفسره في شكل ثنائيات متناقضة .

- ولقد تمثلت الثنائية في هذه الرواية في عدة أشكال، منها ثنائية الانفتاح و لانغلاق وثنائية الثراء و الفقر، و ثنائية الجهل و التعليم ، وثنائية المدينة و القرية، و ثنائية الداخل و الخارج.إلى أن نحصر جميع التقابلات في هذه الرواية ؛ تجعل هذه الثنائية القارئ في حالة من النشاط الفكري فتثير فيه الكثير من التساؤلات ؛ فحتى يجيب عنها يعمد إلى تفكيك اللوحات والمشاهد المكانية فيصل بذلك إلى هدف الراوي من اختيار هذا المكان داخل هذه الرواية دون غيره ، إن تحول بيت إلى الإقامة الجبرية في الرواية هو محاولة من الكاتب لكشف الشخصية عن ذاتها ، وهو انتقال من العالم الخارجي نحو العالم الداخلي، فيعتمد الكاتب على المكان كوسيلة لإبراز كوامن الشخصيات و إبراز المكان بكل أبعاده النفسية و التشكيلية .

- و يحس القارئ بالانغلاق في الرواية، سواء على لسان الشخصيات ،أو من خلال ردة أفعالها اتجاه الأحداث و الظروف المحيطة بها ؛ مثل صعوبة التنقل داخل القرية و انعدام وسائل النقل المتطورة ، سيادة الجهل وكبح حرية المرأة ، وتخترق البطلة في الرواية المكان

المغلق بالدفاع عن حقها بمحاولة الهروب ،و الخروج من سيطرة هذا المكان لإكمال تعليمها ومواصلة حياتها المدنية.

- اختار الكاتب القرية كمكان مغلق ميدانا لتحرك الشخصيات فيه، إلا أن البيوت الموجودة بها تبدو مفتوحة على بعضها بسبب حركة الشخصيات ،فنلمس ثنائية الذهاب و الإياب ، الدخول و الخروج؛ كدخول رحمة إلى دار ابن القاضي باستمرار،و كإقامة ابن القاضي للمناسبات و دعوة الأهالي إلى بيته، و كذلك دخول الجارة دون استئذان على بيت الراعي عندما كانت نفيسة هناك.

- و تدخل كل هذه البيوت و الغرف في قائمة الأماكن المغلقة، باستثناء المقهى الذي يعد ضمن الأمكنة المفتوحة، و قد ضمها حسن بحراوي إلى أمكنة الانتقال؛ لان ثنائية الدخول و الخروج بها تبدو قوية جدا و مستمرة، سواء في القرية أو في المدينة. و حتى الأمكنة المفتوحة فقد عرضها الكاتب من خلال الأمكنة المغلقة؛ عبر استذكار نفيسة للمدينة، و الشوارع و الجامعة، و كذلك البحر بكل ما يحمله من معنى الاتساع و الانفتاح. و جاء على ذكر فرنسا على لسان الشخصيات التي ترغب في السفر إليها، لكن لم تتحرك الأحداث ضمن هذه الأمكنة، مما يفسر طغيان المكان المغلق في هذه الرواية.

- و لقد تلونت هذه الأمكنة بلون الحزن الذي كتب به الكاتب بداية من العنوان؛ الذي يعد مرشدا مهما للقارئ حتى يتعرف على بيئة هذه الرواية ،و محاولة من الكاتب لتحسيس القارئ بصعوبة و شظف العيش و تعقد الحياة في ذلك المكان الذي اختاره أرضية لأحداث روايته.

- الضيق لا يعني فقط صغر المساحة التي تتحرك فيها الشخصيات بل ما تحسه هذه الأخير داخل هذه المساحة، فالقرية مكان مغلق على نفسه لا تغادره الشخوص، و لا تتحرك الأحداث إلا فيه.و يبقى هذا المكان منغلقا حتى آخر لحظة من الرواية ، و تستمر الثنائيات المكانية نتيجة الرغبة في التغيير و التطور ، و الصراع الدائم في الحياة ، و في جميع

المجالات فينعكس ذلك على أنواع الأمكنة ، فتننتج لدينا لوحات مكانية متشابكة و معقدة " فالمكان المتسع يمنح الإحساس بالاتساع الزمني و الاقتراب من الزمن المطلق، و كلما اتسع المكان نفقد الإحساس بوطأة الزمن ، ونشعر بما يشبه الراحة و الطمأنينة ، و كذلك المكان الضيق يوحي بالاختناق الزمني و بالتالي الإحساس بالنهاية"¹ و تعتبر دراسة و حصر الأمكنة ضمن ثنائية الانغلاق و الانفتاح مقارنة ووسيلة مهمة للتحليل و الاقتراب من المشاهد المكانية الروائية لفهم المكان.

1- الأمكنة المغلقة

1-1 القرية

تتكون القرية من مجموعة من المنازل المتناثرة هنا و هناك فوق الريبي، باستثناء وجود بعض البيوت و الجامع و المقهى في مركز القرية ، وغالبا ما تكون البيوت التي تقع فوق المرتفعات لفقراء القرية مثل بيت الراعي رابح الذي يقع على " ربوة مشرقة على بساتين القرية "² «و بيت العجوز رحمة الذي يقع بدوره في " مكان مرتفع كمعظم دور القرية"³ و تعيش هذه القرية منعزلة عن باقي القرى المجاورة ، هذه العزلة جعلتها بعيدة عما يحصل خارجها وبالتالي فهي غائبة عن الأحداث الهامة و المتأخرة عن الركب الحضاري ، و طبيعتها القاسية تتحكم في حركتها اليومية حتى أصبحت الريح جزءا هاما في بنيتها ، فحين تهب الريح تتوقف جميع أعمال أهل القرية حتى تسكن ،و هذا ما يعكس تبعية القرية و استكانتها أمام قوة الطبيعة التي تضر المحاصيل دون أن يحرك أهلها ساكنا ، فما عليهم سوى إنتظار فرج الله و يدعونه أن يكشف عنهم ضرر هذه الريح التي تحول القرية في دقائق إلى خراب .

1- بهيجة مصري ادلبي، الزمن بين الخيال و العلم، دار عبد المنعم ناشرون، 2005، ص36

2- عبد الحميد بن هدوقة ، ربح الجنوب، ط5، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 102.

3- ربح الجنوب، ص 145

يعيش أهل القرية في ضيق نفسي رهيب طول السنة و " الحقيقة أن للريح دخلا كبيرا في هذا الضيق الذي يستولي على النفوس وهذا الجو الكئيب الذي غشي القرية " فما يجمعه أهل القرية طول السنة يدمر في لمح البصر "القبلي هو سبب خراب هذه القرية ،ما جمعه الناس من حصيد أصبح في الشباب و الأودية"¹

-إن تأثير الريح على القرية بهذا الشكل الرهيب، يعكس مدى أهمية المناخ في تشكيل صورة المكان، فيتأثر المكان إما سلبا أو إيجابا بالظروف الطبيعية المحيطة به.

¹و استطاع الكاتب من خلال ذلك أن يقرب الصورة الحزينة إلى ذهن القارئ، و تحسيسه بقسوة الحياة و العيش في هذا المكان، فكانت الريح عنصرا معاديا في الرواية خلفت وراءها خسارة مادية و معنوية لأهل القرية ، ويستمر الفلاح في خدمة الأرض على الرغم من ما يعانيه لأن " العمل الفلاحي هو مقياس الإنسان ، والأرض هي التي تسمح بالتميز بين الإنسان الفعلي والإنسان الذي لا يساوي شيئا"¹²

-أما الجزء الآخر هم الشباب ؛الذين يعتبرون القرية مجرد سجن يقضي على أحلامهم ،فلا يحسون بطعم العيش وهم في داخلها ،و ينتظرون أي فرصة للهروب منها ؛ بحثا عن راحة البال و لقمة العيش، في بلد يحسون فيه أنهم نالوا الاستقلال ،بخلاف القرية التي تبدو أنها مازالت في ظل الاستعمار وبعيدة كل البعد عن الحياة التي ينعم بها أهل المدينة .

-و المرأة أيضا تعاني من هذه الحياة القروية الجافة ،فمعظم تقاليد هذه القرية ضدها ، و في نظر نفيسة "المرأة" بدورها تتعاون مع هذه التقاليد ضد المرأة ؛مثل الحصار الذي فرضته أمها عليها منذ لحظة و وصولها إلى القرية ، حتى أنها لم تستوعب طريقة تفكير أمها التي من المفروض أن تحسن بمعاناتها " إن أمي تمنعني من الخروج هنا ... في هذه القرية الخالية ! بينما في الجزائر في كل خطوة رجل و أخرج دون أن ينكر عليا أحد ذلك ،فلماذا الخروج هنا عيب وهناك لا ؟ هنا مسلمون وهناك ملحدون ؟ أم أن المرأة تتبدل حقيقتها من مكان إلى مكان ؟ "³.

1- ربح الجنوب،ص.192

2- عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة،ط1،تونس،دار محمد علي للنشر و التوزيع،2003،ص211.

ربح الجنوب ،ص211

3- ربح الجنوب ، ص 38 .

لكن رحمة بخبرتها وكثرة تجاربها ،استطاعت أن تعي الفرق الكبير بين ما تحياه المرأة في هذه القرية ،وما تحياه غيرها في المدن وحاولت أن تقنع نفيسة بذلك "كل بلد لم مقاييسه يا نفيسة ! هل قريتنا و مدينة الجزائر متساوية في كل شيء ؟ وهناك النور و الدور واليابسات و الجنات ...وهنا يا بنيتي إن خرجت ماذا تريدن؟ هنا لاشيء أكواخ و جبال و ليل و نهار الرجال هنا كالوحوش يلتهمونك بأعينهم إن رأوك ، فهم لا يرون مثلك في بيوتهم ولا في غدوهم و لا في رواحهم"¹

فإذا كان الجمال في الأمكنة المفتوحة نعمة على المرأة، فقد يكون في هذه القرية سبب يؤسها و شقائها ، مثلما حدث مع نفيسة ؛فهي تتمتع بجمال خلاب جعل كل أهل القرية يتحدثون عنه، ولأن العجوز رحمة شخصية فنانة فهي تقدر و تتجذب لكل ما هو جميل يساعدها في نحت ورسم أوانيها ، وقد أبهرها هذا الجمال آه لو استطيع أن أصنع أنية واحدة توحى لناصرها بما توحى به هذه الفتاة ! ... لكنك أذن أسعد امرأة!..²

وقفت العجوز رحمة عاجزة أمام هذا الجمال ، رغم ما تتمتع به من قدرة فنية في رسم الأشكال الفخار ، مثلما يعجز أهل القرية أمام ريح الجنوب "فالعجوز رحمة تصنع الفخار والفخار من القدم كان رمزا للحق و التكوين ، هي تبني الأواني وفي كل مرة تتصور الآنية التي تعمل بها لم تصل إلى صنعها بعد فتعيد الكرة لصنع أوني جديدة، لكن الآنية الحلم التي لم تتصور جزئياتها و دقائقها في نفسها لن تسعف يداها على صنعها تموت و يبقى الطين طينا³ ولعل هذا الجمال الذي تتميز به نفيسة هو الذي هوى العجوز رحمة لأن تفكر في تلك المفارقة بين المدينة و القرية و تجيب عن أسئلة نفيسة بذلك الوعي .

تتمتع نفيسة بجمال جذاب ميزها عن باقي فتيات القرية، هذا الجمال جعلها تعيسة طول فصول الرواية." وهكذا شكلت هذه الأبعاد الجسدية الجميلة التي تتمتع بها نفيسة مصدرا أساسيا من مصادر تعاستها ، ولو كانت في بيئة راقية واعية مهذبة ، لكان مصدرا رئيسا من مصادر نجاحها و سعادتها ، و لتسابق الناس على كسب ودها ، بدلا من التسابق على

1-ريح الجنوب،ص38.

2-ريح الجنوب : ص 37 .

3-عبد الله أبو هيف ، عبد الحميد بن هدوقة في النقط الأدبي :الملتقى الدولي العاشر عبد الحميد بن هدوقة ، الجزائر ، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريرج ، 2008 ، ص59

تخطيطها ، و القضاء على مستقبلها ¹ حيث يبدو الجمال في هذه البيئة الريفية ظاهرا يجذب كل العيون و يشدها إليه.

ونلاحظ هنا إلى أن الكاتب يعلي من شأن الخبرة، ويقول لنا على لسان العجوز أنه مهما كانت ثقافة الجيل الجديد فهو دائما يحتاج إلى من هو أكثر خبرة منه ليجيب على أسئلته وان العادات و التقاليد وجدت لتحفظ قيمة المرأة في مثل هذه الأمكنة فالثقافة وحدها لا تكفي ليعي الإنسان معنى الحياة، بل لابد من تجارب وخبرة تتكون مع مرور الزمن. و خدمة الرجل و إنجاب الأطفال و إتقان أعمال المنزلية ، لذلك تعتبر نفيسة الزواج بالبادية شيئا بشعا إلى درجة قصوى وإذن ما الفائدة في أن نتعلم حرف البادية ، إن الحياة التي تحياها الآن بين أهلها لا تختلف عما قرأته بخصوص عصور ما قبل التاريخ ! ² كذلك تسبب المرض في مظاهر الحزن التي بدت على القرية ،حيث حصد الكثير من الأرواح ؛ فزاد المكان ظلمة وحزنا حسبما روته رحمة لرابح (هب مرض على القرية في لم ترض نفيسة بهذا التفكير المحدود الذي أتعبها، و جعلها تحس بالتقزز و الغرابة في أمور تبدو في نظر أمها ومن حولها من الأمور اللازمة للنجاح في المستقبل ، فمستقبل المرأة في نظرهم هو الزواج إحدى السنوات العجاف لم يسلم منه إلا القليل ، بقينا حوالي ثلاث أشهر لا نعرف إلا المأتم ، حتى صار الناس لا يكون موتاهم من كثرة الموت ، إيه يأبني ... كم اخذ ذلك المرض من شباب و جمال؟ بيوت عن آخرها خربت ولم يبق من يزيد نارا" ³ بقي أهل هذه القرية يعانون رغم مرور سنوات على الاستقلال ؛ فحرم أطفالها من التعليم بسبب عقلية آبائهم الذين تعودوا على نمط معين من الحياة " حياة السكان القروية

1- عمار زايد، الرواية العربية الجزائرية عند نقاد الاتجاه الواقعي بين النظرية و التطبيق، اطروحة دكتوراه دولة، جامعة

الجزائر، 2001/2002م، ص261

2- ريج الجنوب، ص33.

3- ريج الجنوب، ص128

و ظروف معاشهم التي تستلزم تربية بعض المواشي ، حالت بينهم و بين الاتفاق على بناء المدرسة "1

-حيث لم يحض بالتعليم من أهل القرية إلا أكابرها ، ومن لهم أهل خارج هذه القرية والسبب وراء كل ذلك الفقر و ليس عزوف الآباء عن تعليم أبنائهم : " الحقيقة أن القرية فقيرة سواء اتفق السكان أو اختلفوا ، وأنها منعزلة عن كل شيء سواء تفرقت بيوتها هنا و هناك أو اجتمعت"2 كان التعليم ضروريا جدا للنهوض بحياة جديدة و متطورة، كان لابد من ثورة على العادات و التقاليد البالية التي تكبح التطور و تساعد على التخلف حسب ما دعا إليه الكاتب.

- " ولم يبق للقرية إلا أن تدق أجرس الخطر و الإنذار ،وهي تلوح بالطبيعة و الأرض و البساطة و التفاؤل عساها تعدل الزيف بالأصول وتحد من الشطط الصناعي بفضل القيمة الطبيعية و تطعم المادي بلغة الرصيد الأخلاقي الروحي ، و تواجه الإسراف و الاستهلاك بالقناعة و التضحية . وهكذا تكون قد قالت كلمتها في مفهوم التطور و الحداثة، وأعربت عن اعتقادها بأن عهد المدينة الوليد لن يكون عهد الجنة الموعودة "3

- وكانت الأنعام التي تعزف من الحين لآخر تخفف كل هذا الألم و (العازف هو رابع راعي الغنم ! لا أحد يدري كيف كانت تبدو هذه القرية الفقيرة لزائريها لو لم يكن فيها هذا الراعي الطيب الذي يملأ سماءها أنغاما ! كم هي جميلة هاته الأنعام ! لكنها خلقت لتبرر الصمت الحزين الذي يخيم على القرية ، أو أنها عذر لما يبدو عليها من فقر ! إنها بصفاءها وعذوبتها تجعل فراغ القرية أجمل مما أبدعه العمران ! "4 وبقدر ما تزيل هذه

1- ربح الجنوب،41

2-- ربح الجنوب،42

3- المكان في الرواية العربية : الصورة و الدلالة ، 218

4-ربح الجنوب : ص 43 .

الأنغام كآبتها عن النفوس بقدر ما توحى إلى القارئ الانقطاع الذي تعيشه القرية عن العالم الخارجي فكل الأصوات التي كانت تصدر في القرية هي أصوات من طبيعتها وحياة أهلها¹ هذا ما جعلنا نستنتج غياب العناصر الصناعية التي تعد بمثابة نقلة من التخلف إلى التحضر، و تغير في حياة أهلها بنقلهم من الحياة الفلاحية إلى الحياة الصناعية ، بتسخير أرضهم لتحسين المعيشة، فالتصنيع هو (العلامة التي تشهدها العصور الحديثة دليلا على الرشد و القدرة على الصنع و الابتكار . وهو رهان على المستقبل"²

وقد كانت أنغام الناي تعبر عن أصالة القرية و تمسكها بماضيها، و الناي أحد الوسائل الطبيعية لأنها من، صنع يدوي ومادتها من قصب السكر الذي يتواجد بكثرة في أودية القرية.

كذلك خففت "ريح الشمال " ظلمة هذه القرية ؛وهي نقيض ريح الجنوب في كل شيء حيث "أزالت عن النفوس ما كانت تجده من ضيق و تحسه من حيرة ، وعادت إلى السماء زرققتها الصافية و لونها الصيفي وأفقها المحدب بقمم الجبال"³ فكانت تبعث الأمن و الطمأنينة في نفوس شبابها الذين يفكرون بشكل دائم في ما يؤمن لهم الراحة النفسية و المستقبل السعيد ، لكنهم لم يفكروا في العمل ، لأن نوعية العمل في القرية لا تعجبهم ، وهذا ما جاء على لسان أحد الشيوخ لشاب عاد من فرنسا " إن الناس هنا منذ الاستقلال لم يرقهم أي عمل ، كل واحد صار ينتظر أن تمنح له شهرية مقابل ما عمله أو لم يعمله أثناء الثورة ... ولولاكم يابني انتم الذين تحيون في القرية ، لولا ما ترسلونه من حوالات لما بقيت في هذه الناحية

1-ريح الجنوب،ص101

2-المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة،ص207

3-ريح الجنوب،ص197

دار قائمة ! إن الناس هنا كما قلت لك ، كرهوا العمل ... كرهوا الأرض و من يكره الأرض ترجعه إلى بطنها ¹ .

إذن حتى تتغير أحوال القرية يجب القيام بثورة فكرية للنهوض بمستقبل جديد تنفتح معه الأفاق ؛ ويتحقق ذلك بكل كل القضايا المطروحة على العالم الخارجي ، و التحرر من التبعية إلى الماضي ، و السير قدما دون الالتفات إلى الوراء ، وإعطاء المرأة فرصة إبداء رأيها ومشاركتها الرجل في بناء مستقبل جديد .

1-2 دار ابن القاضي

-لقد كان ابن القاضي من أعيان القرية؛ لذا كانت داره من أوسع البيوت و أجملها في القرية. وأطلق بن هدوقة على مكان سكناه اسم "الدار" و الدار (غالبا ما تطلق على سكنى الشيوخ ، سواء كان هذا الشيخ زعيما اجتماعيا، أو غنيا ، أو عالما ، أو فقيها ، أو وجيها من وجهاء المكان الذي يسكن فيه ، فليس كل مكان للسكنى كان يسمى دارا في العرف الاجتماعي ² فنجد بن هدوقة حرص على الجانب اللغوي في الرواية و حدد الألفاظ فيها تبعا لوظيفة أمكنته .

-لقد كانت دار ابن القاضي من بين دور القرية التي تفتح لاستقبال الناس في المناسبات التي تقام في القرية مثل : مناسبة تدشين المقبرة (من بين دور القرية التي أصبحت تمتلئ نشاطا واحتقالا في ذلك اليوم دار عابد ابن القاضي ، فكثير ممن لهم صلة بها من أقارب وفلاحين أصبحوا غادين رائحين حولها ، فهي التي ستستقبل ضيوف القرية بعد إتمام تدشين المقبرة ، وليس الضيوف وحدهم الذين سيتناولون الطعام فيها ، بل كل السكان الحاضرين سواء دعوا للغداء أم لا ، فالعادة هي العادة ³

تكثر ثنائية الدخول و الخروج في هذا المقطع السردى مما يوحي للقارئ انه مكان ألفة وتضامن ، يفتح على مصراعيه للاستقبال كل من يقف على عتبته ، وانفتاحه بهذا

1-ريح الجنوب : ص 44 .

2-جماليات المكان في الرواية العربية ، ص 138 .

3-ريح الجنوب : ص 47

الشكل يوحي باتساعه وراحة سكانه فيه وعيشهم في حرية وأمان ، لكنه على عكس الواقع ، إنه يتضمن في داخله كل معاني الضيق و الاحتجاز .

-لقد اسقط الكاتب شخصية ابن القاضي على مقر سكناه فتلونت الدار بمشاعره وعكست مواقفه وأفكاره ، فشخصية ابن القاضي " على درجة عالية من الخطورة و التأثير ، لأنها كاملة من حيث الوعي ، متنفذة في الحياة الاجتماعية ، و مؤثرة في المشاريع الاقتصادية ، وتعرف أهمية القيام بالواجب، وإن كانت لا تفعل ذلك خالصا لوجه الله ، فهي تعرف كيف تخفي نواياها ، وكيف تقوي مركزها و تخدم مصالحها "¹ رغم ما يشاع عن السمعة السيئة لابن القاضي إبان الثورة إلا انه لم يترك أي دليل يدينه .

-وإذا فقد كانت الدار صورة مطابقة عن شخصيته ، فدار ابن القاضي لا تفتح إلا للمجاملة ،أو لتحقيق غرض معين يخدم مصلحة صاحبها مثلما حدث يوم فدوة العجوز رحمة " وجاء الليل فوجدت دار ابن القاضي قد استعدت كأحسن ما يكون الاستعداد لاستقبال سكان القرية ، و حفظة القران فيها ؛ حيث ستقام بعد حين الفدية المقررة صدقة على روح العجوز رحمة "² ، وهذا الاستعداد الذي تبدو عليه الدار هو تغطية لنوايا خبيثة لابن القاضي وهي ؛ تحسين صورته أمام شيخ البلدية ليقبل مصاهرته من جديد والهدف الحقيقي عنده هو الأرض "الوسيلة إذن التقرب إليه و كسب عونه ولن يتيسر ذلك دون رابطة متينة تربط تربط بينهما"³ يختلف الإحساس في دار القاضي من شخصية لأخرى ، فإذا كان لابن القاضي المكان الذي يمارس فيه سلطته على كل الأشياء ، فهو لنفسه المكان الذي يقضي على حريتها و أحلامها لذلك نجد التوق إلى الخارج عندها متفاقم .

1-المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة،244

2-ريح الجنوب،ص198

3-ريح الجنوب،ص107

1-3 غرفة نفيسة

-إن غرفة نفيسة من أهم الأمكنة في الرواية ، ورغم ضيق هذه الغرفة إلا أن نفيسة كانت تفضل البقاء فيها منعزلة عن باقي أفراد الأسرة ؛ متعلقة بأمور ثلاث : (أولا الكوة الخارجية التي تفسح للناظر مشهدا خلفيا جميلا ، نهايته القصوى جبال جرجرا : ثانيا هي لا تستطيع النوم مع أمها و أخيها في الفراش العائلي كما هي العادة لدى سكان القرية ،فهي تفضل الحجرة الضيقة على الذوبان النهائي في الأسرة ، وهناك سبب ثالث يدفعها للانعزال في هذه الحجرة؛ وهو مراجعة دروسها السنوية و مطالعة بعض الكتب و القصص التي جلبتها معها من الجزائر " ¹ .

-حيث نقلت نفيسة عادات المدينة إلى القرية ، وإلى بيتها ، فانعزلت عن أسرتها بإنفرادها في هذه الغرفة رغم الرقابة و الحصار الاجتماعي الذي تعيشه نفيسة والتي جعلت من الغرفة مكان " الإكراه الجسمي و النفسي وعزلا عن ممارسة الخلاقة في المجتمع " ² مما يؤدي إلى التشنت الأسري و التفكك الاجتماعي .

و يستطيع المكان أن يوفر للفرد الأمان الاجتماعي و يحميه من الضياع ، حتى و إن كان ضيقا كغرفة نفيسة ، والتي و جدت فيها الهدوء و الإنفراد بنفسها لمراجعة دروسها و الحرية في التصرف " .

- ومن هنا نجد أن المكان الاجتماعي متعلق مع طبيعة المكان الذي تقيم فيه " ³ فوجود كوة خارجية في هذه الحجرة يقاس بأمل نفيسة في المستقبل ، وصغر هذه الكوة يعكس محدودية تفكير نفيسة ، فنجد الكاتب جهز هذا المكان منذ البداية لنفيسة ، وجعل هندستها ملائمة لنفسيتها ، والتي كانت تستغله في التفكير " في كل شيء وفي لا شيء " ⁴ أكثر ما تستغله في النوم أو الدراسة ،وعدها لألواح السقف باستمرار هو دليل على الأرق و الفراغ الذي تعيشه نفيسة منذ وصولها إلى هذه الدار (7 ، 14 ، 21 ، لوحة ... كم عدت هذه

1-ريح الجنوب: ص9

2-بنية الشكل الروائي، ص69

3-عمرو عيلان، الايدولوجيا و بنية الخطاب الروائي،دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة،الجزائر،منشورات جامعة منتوري، 2001، ص 235 .

4-ريح الجنوب : ص 42 .

الألواح ! عدتها وأعددها بالرغم مني مدمت أحيا هنا..." ، وغرقها في التفكير في نفسها و فيما حولها في هذا المكان ما هو إلا حيلة تلجأ إليها لتفقد إحساسها بالمكان الواقعي ، فترحل منه بخيالها إلى عالم أفضل منه .

إن خصوصية المكان ليس بما يحتويه من أشياء فقط ، بل بما تعنيه نفيسة كالمرأة بالنسبة للمجتمع ، هذه الخصوصية التي لا يحترمها ابن القاضي الذي لا يأبه لأي شيء أمام تحقيق غرضه ، كأن يدخل رجلا غريبا إلى المكان الذي تنام فيه ابنته ، وهذا ما جعل "مالك" يتفاجأ عندما قاده ابن القاضي إلى حجرة نفيسة " المفاجأة التي كانت تنتظر مالكا لا تتمثل في مقابلة الحماة، ولكن في المكان الذي ستجرب فيه ، وفيمن يجدهم معها ..."¹ و يدل اندهاش مالك من تصرف ابن القاضي على أهمية المكان و ما يحمله من قيم أخلاقية و اجتماعية، و التي انهارت أمام رغبة الرجل، مادامت تخدم مصالحه.

4-1 بيت رحمة

أطلق الكاتب على المكان الذي تسكنه رحمة تسمية " بيت " لأنه أقل حجما من الدار ، و هي مساكن العامة من الناس"² و لم نتعرف على بيت رحمة إلا بعدما نقلها رابح إليه بعد سقوطها " دفع الباب الأسود الغليظ برجله فانفجرت أمامه قاعة بيت ، زواياها مظلمة ، انبثت فوقها أوان فخارية جديدة و قديمة و متعددة، منها الجاهز للاستعمال، ومنها ما يزال في الطور الأول من التهيئة ، ومنها ما يزال طينا "³ يبدوها البيت صغيرا متواضعا تفوح منه رائحة الفقر، إلا انه كان المأوى الذي تعود إليه العجوز رحمة بعد يوم كامل من العناء ،ومكانا لصنع أنية الفخار التي كانت تبيعها و تققات من ثمنها .

1- ربح الجنوب الجنوب ص56

2-جماليات المكان في الرواية العربية،ص42

3-ربح الجنوب،ص120

وحياة هذه العجوز ما هي إلا انعكاس لحياة سكان القرية الذين يعيشون حالة من البؤس و الحرمان ، و يعلب المكان الذي تعيش فيه رحمة و وظائف : فهو مكان إقامتها من جهة ، و مكان عملها من جهة أخرى ، ولقد تحول هذا المكان بعد موت العجوز رحمة إلى مكان يعج بالحركة بعدما كانت قليلة فيه (ولم تمر الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم حتى امتلأت الدار وفناؤها بالنساء و العجائز و الأطفال ، و هي أول مرة عرفت فيها دار العجوز هذا العدد من الرواد فإذا ما الفته من سكون طوال الشهور والسنين صار ضجة عارمة وحياة صاخبة ، وإذا موت صاحبته أضفى عليها جوا من الحياة لم تعرفه يوم الزفاف ¹.

ورغم أن بيت رحمة كان فقيرا بائسا ، إلا أنه حمل في طياته الكثير من الأحلام السعيدة بالإضافة إلى أنه المكان الذي عاشت فيه سعادتها مع أغلى إنسان ألا وهو زوجها ، وهو المكان نفسه الذي ضمدت فيه جروح مالك المجاهد ، الذي ما إن وصل إلى بيتها حتى تذكر ما فعلته العجوز معه ، حيث لم تتركه لحظة واحدة منذ أن نقل جريحا إلى بيتها ، ولم تتركه يغادر حتى شفي " و بقي صامتا واجما وجوما يصور ما كان يشعر به من حصرة و مرارة وأنسى في نفسه وفيمن حوله ، فرؤية العجوز و بيتها المظلم والأواني و الأثاث و الصندوق الأسود وكل ما بالبيت من أثاث أعاده إلى الأيام الطويلة التي قضاها جريحا في هذا المكان الذي ترقد فيه العجوز ، كان ذلك إبان الثورة ...²

ويمكن القول بأن الحياة في هذه القرية عبارة عن ثنائية متضادة، أو تقابل بين السعادة و الحرمان والذي يعبر لنا عن هذين الآخرين هو المكان ؛ فإذا كان متسعا يشع منه النور فهو يعبر عن الحياة المترفة ، وإذا كان مظلما مثل هذا البيت فهو يعبر عن الشقاء و البؤس الذي يعيشه أفرادها ، لكن رغم هذا إلا أن البيت حمل في طياته العديد من القيم الإنسانية و الثورية في حياة العجوز و القيم الثقافية بعد موتها .

1-ريح الجنوب،ص172

2-ريح الجنوب،ص146

لقد حول مالك بيت رحمة إلى مدرسة كرد لجميل العجوز رحمة ، وهذا دليل على مكانة التي كانت تحظى بها العجوز عند أهل القرية فهذه الدار مصدر " لفيض المعاني و القيم " ¹ حتى أن الكاتب حولها لغويا من بيت إلى دار بعد وفاتها ؛ رغبة منه في " إعلاء شأن المكان " ²

فكان بذلك بيت رحمة مكانا للعتاء ؛فهو المكان الذي لجأ إليه مالك عندما سقط جريحا أيام الثورة ، وفيه عولج و نهض من مرضه بعد مدة طويلة ، رغم بساطة المكان و تواضعه ، لفقر أصحابه وبنيتة؛ فهو لا يمنع حتى البرد من الدخول إليه " كان الباب ألوحا من الخشب قديم ،يمسكها إلى بعضها مسامير خشنة صدئة من القدم ، وبين اللوحة و الأخرى انعراجات تتسع لدخول اليد فضلا عن الريح " ³ ، وعلى الرغم من كل هذا الفقر الذي كانت تعاني منه العجوز رحمة إلا أنها كانت قانعة ببيتها المتواضع الذي عاشت فيه كل حياتها بخلوها و مرها ،وهي تتذكر زوجها المتوفى في هذا الركن ،أو ذاك فتزِيل عنها الذكريات كل ذلك البؤس و الشقاء في هذا البيت الذي كان في نظرها غنيا بما فيه من أواني تصنعها بيدها .

1-5 بيت رابح

لقد تعرفنا على المكان الذي يعيش فيه رابح ، عندما اخذ هذا الأخير نفيسة إلى بيته، حينما و جدها على حافة الموت في الغابة فمثل لها البيت الملجأ و الحماية ، هذا ما عمل عليه الكاتب منذ البداية حيث جعل أم رابح بكاء لضمان سرية إقامة نفيسة في بيت ابنها ، فقد كان هذا الحل الوحيد أمام نفيسة بعد أن لدغها ثعبان منعها بذلك من السفر " سفرها غير ممكن و رجوعها إلى دار أبيها أيضا قد يكون غير ممكن ؛نظرا لهروبها الغريب الذي لا تقبله تقاليد القرية و عوائدها " ⁴ .

1-جنبة الشكل الروائي،ص43

2-جماليات المكان في الرواية العربية،ص139.

3-ريح الجنوب،ص148

4-ريح الجنوب : ص 248 .

لقد جعلنا الكاتب نبحر في عوالم هذه الرواية، حيث أحسنا بنفس القلق الذي عاشته نفيسة في تلك اللحظات الحرجة ، ثم أعطانا الحل المناسب على لسان نفيسة و التي اقترحتة على رابح " ألا يمكن أن أذهب إلى دارك ،إنه المكان الوحيد الذي يليق بي ،فأملك لا تتكلم ، و هكذا أقضي أياما حتى أشفى ثم أذهب إلى الجزائر"¹ فقد كانت نفيسة في أشد حاجة إلى مكان يأويها في هذه اللحظات الحرجة لكن مع ضمان السرية ، وبحكم العادات و التقاليد يجب ألا تنام مع رجل غريب في مكان واحد ،وهذا ما فكر فيه رابح من " ناحية المسكن فلا وجود لحجرة زائدة فيه ، كل ما هناك بيت واحد يسكنه هو وأمه لكن هذه المشكلة قد يسهل حلها ؛ لأنه يستطيع أن ينام بالبيدر كما يفعل في غالب الأحيان"²

و نلاحظ هنا أن رابح و نفيسة لم ينسيا عادات و تقاليد القرية ، والتي تعتبر أهم جزء من بنية هذا المكان ، لذلك يجب مراعاة هذا الجزء حتى نحافظ على البنية ككل ،هذا يقودنا إلى القول أن بنية المجتمع هي بنية خاصة ؛ لأنها جزء مهم من بنية المكان ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاقتراب منها .

لكن الظروف اقوى من الإنسان؛ كما حدث مع نفيسة التي تحدثها الطبيعة وأجبرتها على اللجوء إلى مكان لم تتصور في يوم من الأيام أن تطأه قدماها ، لكن رغم هذا و ذاك فنفسية و جدت راحتها في ذلك البيت " وأعجبت أيضا بنظافة البيت و ترتيب أثاثه رغم فقر أهله"³ و نلاحظ هنا أن النظافة بالنسبة للبيت مهمة لتوفير الراحة النفسية ، وهذا ما حدث مع نفيسة التي أحست بالراحة في بيت الراعي رابح رغم فقره أكثر من بيت أبيها ، كان من المفروض أن تعيش في حالة قلق لهروبها و تواجدها في بيت رجل غريب ، هذا الأخير هو رابح الراعي منبع السعادة لها وهي في بيت أهلها من خلال الأنغام التي كان يرسلها رابح

1-ريح الجنوب ،ص248

2-نفسه

3-ريح الجنوب ،ص253

"وكانت تحلق بها الأنغام في سدم عليا لا أفاق لها و لا حدود ..."¹ وهي الآن في هذا المكان " وهذه الموسيقى ليست موسيقى حلم و لكنها واقع محسوس صاحبها لا يبعد عن المكان الذي تضطجع فيه "² لكن هذه السعادة تنتهي عندما يطلع ابن القاضي عن مكان ابنته عن طريق أحد الحاقدين عليه.

1-6- المقبرة

المقبرة هي أهم مكان يحوي الماضي ، و الزيارات المتوالية لها تعكس مدى انجذاب الفرد لهذا الماضي و تمسكه به ف (زيارة القبور تقليد قديم بدأ قبل الأديان السماوية، واستمر إلى الآن ³ فهو المتنفس الوحيد لكل من يزوره ،رغم أنه يحمل في طياته كل الآلام و الأحزان ؛ مثل العجوز رحمة التي كانت تقوم بزيارة زوجها المتوفى و لا ترتاح إلا بعد أن تسرد له كل أخبارها و أخبار أهل القرية ،كذلك "خيرة" أم نفيسة لا تجد راحتها إلا بعد أن تحدث أمها عن وفائها وإخلاصها لذاكرها مقارنة ذلك بما تحسه نفيسة اتجاهها .

فخيرة (كانت ترى الأشياء و الحياة من خلال زاوية نظر أمها... تحب من تحب هذه ،وتكره من تكره و تفرح لفرحها ، وتبكي لبكائها ⁴ على عكس نفيسة فهي لا تأبه لما تحسه أمها، ولا تفكر حتى في مشاركتها لحظة الوقوف على قبر أمها . وهذا نوع من التفكك الأسري ؛سببه عدم مشاركة الابن هموم الوالدين ،وانشغاله باهتماماته كشخصية مستقلة تماما ،وهو أمر عادي تطلبه النفس البشرية عند ما تصل إلى مرحلة معينة من العمر ، وهذا ما لا يستطيع أن يفهمه الأولياء فينظرون إلى أبناءهم نظرة الممتلك لأشياءه المنكر لفضلهم ،وقد علل الكاتب انشغال نفيسة عن أمها بما رآته في المقبرة التي تعد مكانا مقدسا ، لكن " الموتى وان أخذوا من القرية أجمل مكان فهم لم يستطيعوا فرض احترام مقرهم الأبدي على الناس ، فعندما وصلت العجوز و نفيسة و أمها إلى المقبرة كانت ثلاث أحمره ترعى فوق

1-محمد جبريل، مصر المكان،دراسة في القصة و الرواية،ط2، المجلس الأعلى للثقافة،2000،ص249

2-ريح الجنوب،ص24

3-ريح الجنوب،ص20

القبور¹ فاستكرت نفيسة من الفعل ووصفته بالجريمة أنه مجرم الذي ترك أحمرته تدوس الموتى "

حيث يدل هذا الفعل على إهمال أهل القرية لأهم شيء يربطهم بالماضي، إن حماية المقبرة واجب على كل سكان القرية بصفاتها مكانا مقدسا، و هذا ما تساءلت عنه نفيسة " لماذا لا يقيمون سياجا حول المقبرة ؟ وهكذا تصان من كل شيء".²

لكن سكان القرية يعيشون حالة مزرية من الفقر، لا يستطيعون حتى تأسيس حياتهم فضلا عن المقبرة، و تدمر نفيسة لم يكن من الأحمررة ولكن من الإنسان الذي داس ماضيه بأرجل أحمرته .

وعدم مراقبة المقابر ، وكثرة الزوار لها يؤدي بها إلى أن تكون بيئة للمجرمين " المقابر تمثل عنصرا مهما في دنيا الجريمة ، لصعوبة السيطرة الأمنية عليها ..."³ و الجريمة التي ارتكبت داخل هذه المقبرة هي المساس بكرامة الأموات، ونفيسة كفتاة مثقفة تعي جيدا القيمة الأخلاقية للمقابر فلا يمكنها " أن تستسيغ بأن يصير مكان الفناء و الموت مسرحا لعملية البقاء و الاستمرار " ⁴ .

تضم القرية نوعا آخر من المقابر ألا وهي مقبرة الشهداء ،و التي تعبر عن الماضي أو التاريخ ؛ لأنها مكان مخصص للشهداء فقط، حيث حاول الكاتب من خلالها ترسيخ تاريخ الجزائر و المتمثل في الثورة، وتتميز هذه المقبرة عن غيرها بفرض احترامها و هيبتها على الكل ، ذلك ما توصلنا إليه من خلال تنظيم المكان وذلك بتصنيف القبور وجعلها متساوية ، فلا فرق بين قبر الغني و قبر الفقير مثلما نجده في المقابر العادية

1-ريح الجنوب،ص22

2-ريح الجنوب : ص 22 .

3-مصر المكان،ص249

4-ريح الجنوب،ص24

فالتجول في مقبرة الشهداء يجعلنا نحس بالعظمة، و ذلك ما أحس به مالك ،وهو " يتجول بين صفوف القبور التي زادت اللوحات المنصوبة عليها نوعا من التساوي تثير الخشوع " ¹ لقد أستطاع هذا المكان فرض الاحترام على كل من يدخله ؛بفعل التنظيم الذي يميزه و رمزه إلى التاريخ يعني الكثير بالنسبة لمالك ،لأنه يذكره بماضيه وما في بلده فمقبرة الشهداء هي رمز ثوري و مكان للاعتراف بجميل من منحى بحياته من أجل الاستقلال .

2-الأمكنة المفتوحة

2-1- المقهى

شكل المقهى في هذه القرية مكانا لتجمع سكان القرية ،فهو بمثابة حلقة وصل بينهم ، فيه يتناقل الناس مختلف الأخبار فهو " المكان الذي تلتقي فيه مختلف طبقات الشعب ، و مختلف الرغبات والأهواء " ² فيتساوى هناك الغني مع الفقير ، و الجاهل مع المثقف حيث " يستوعب الجميع ويحتوي الجميع دون شرط مسبق،ودون مواعيد مسبقة " ³ كما أنه المكان الذي تتناقش فيه مختلف المواضيع السياسية والثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية بكل حرية ، أنه عالم غني ومفتوح حتى ولو تموقع في مكان مغلق كالقرى و المداشر، فالمقهى " مسرح الحياة الشعبية، وهو مكان اللعب ، لعب الأفكار ، ولعب الأصابع و الورق و الحجارة و اللغو و التأمل ،والتفريج عن النفس ، التي ضاقت بالحاضر و همومه ، وأغلاله الاجتماعية و السياسية والفكرية " ⁴ لقد عكست المقهى في رواية ريح الجنوب اهتمامات روادها و حالاتهم الاجتماعية و نسق الحياة التي يؤدونها نجد المقهى يمتلأ بالرواد من النهار إلى الليل لأنهم لا يعملون ، و المقهى في الحقيقة ما هو إلا " نموذج مصغر لعالمنا الذي يضج بكل ما تحتويه دنيانا" وهذا ما نلمسه في هذه الرواية

1-ريح الجنوب : ص 55 .

2-ريح الجنوب : ص 148 .

3-جماليات المكان في الرواية العربية : ص 195 .

4-جماليات المكان في الرواية العربية : ص 197 .

التي تشكل فيها المقهى مكانا يروح فيه أهل القرية من الضيق الذي يحاصره ، وكل قادم إلى المقهى هو إنسان هارب من شيء يطارده معنويا كان أم ماديا .

فهو في جلوسه في المقهى، يحتمي بالحياة الأليفة التي يقدمها له في المقهى حيث لا تحاصره الأسئلة كما تحاصره في كل مكان يذهب إليه.

و المقهى في هذه الرواية هو مكان للثرثرة و تتبع أخبار الناس ،وهو وجهة العاطلين عن العمل ،على عكس الذين يتمتعون بمستوى فكري ناضج فهم لا يرتادونه كونهم منشغلين طول الوقت ،حيث أنه مكان لا يلاءم الشخصيات التي تحمل رؤية فكرية ناضجة .

في الرواية نجد ثلاث أشخاص فقط لا يدخلون المقهى لتضييع الوقت بل لغاية تخدم مصالحهم الشخصية "مالك لا يدخل المقهى إلا للحصول على المعلومات و أخبار أو تكليف من ينقلها ، و رايح الراعي يدخل المقهى بدافع الفضول لا أكثر فهو يحس ، بان جوه الخانق لا يلاءم طبيعته ، وابن القاضي لا يذهب إلى المقهى إلا بغرض يتصل و مصالحه¹ و يمكن القول أن ذهاب الشخصيات إلى المقهى له تضييعها للأوقات ،له أسباب ظاهرة كانت أو خفية ، والحقيقة أن الفرد القروي هو الذي اختار مصيره بنفسه عندما كره العمل و قرر تضييع و وقته في المقهى، في حين تكمن ،الوظيفة الحقيقية لهذا الأخير هي أنه "مكان لتصرف فترات الفراغ ، وإمداد الفرد بمزيد من قوة الاحتمال لمواجهة رتابة الحياة اليومية"² لكن للأسف فالقرية باعتبارها بيئة مغلقة حالت دون فهم هذه الرواية ،فكان المقهى أكثر الأمكنة امتلاء بالأشخاص على اختلاف مستوياتهم و أهدافهم و ولأن سكان القرية يتكبرون عن العمل فقد تحولت من مكان لتجديد الطاقات إلى مكان يصرفون فيه

1- ربح الجنوب،ص251

2-بنية الشكل الروائي،ص93

طاقاتهم ووقتهم ، في تجاذب أطراف الحديث ولعب الدومينو ، باعتبار أن مالك كان شيخ البلدية فقد كانت تلزمه بعض الأخبار ،فما كان منه إلا أن يجلس في المقهى . ليسمع ماجد من جديد في حياة القرية التي يسكن بها أو بالقرى المجاورة إذ بالمقهى تستقى الأنباء عما يجري في قرى الناحية ¹

ولما كان هذا المكان الوحيد مستودع أخبار أهل القرية و الشاهد عليها ، فإن كل من أراد أن يسمع خبرا أو يعلن عنه يذهب إليه تماما مثلما فعل مالك عندما أراد إشاعة خبر موت العجوز رحمة (أذهب إلى المقهى لأخبر الناس ، لأطلب مساعدة ... ألا أقدر على دفنها وحدي ؟...²)يعتبر دخول المرأة إلى المقهى علامة من علامات تحضر المجتمع، لكن في هذه القرية يحرم على المرأة دخوله لذلك فقد فكرت نفيسة في الذهاب إلى المقهى حتى تقضح أباها (أذهب إلى المقهى القرية فأعلن على رؤوس الملاء أن أبي يمنعني من مواصلة دراستي ،بحكم أن بنت تقصي الدراسة ، وأنه يرغبني على الزواج ممن أراد هو لا لسبب إلا أنه صاحب الحق الأول في حياتي ، كما لو أنني قطعة من أرضه أو بضاعة ...وهكذا إن كان هناك سيعتبرها فضيحة لا يمحوها إلا الدم فيقتلني ³) أرادت نفيسة هنا أن تنتقم من أبيها عندما أراد أن يزوجها رغما عنها ، فتشوه سمعته ، وتجعل سيرته على كل لسان فترتاح بذلك منكل العذاب الذي تحسه وتتخلص من السجن الذي تعيش فيه ،لكن الانتقام ليس هو الحل لمشكلتها ، كذلك المقهى هو مكان رجالي لا تجرؤ على دخوله مهما حصل لها .

2-2النافذة

تفصل النافذة بين عالمين مختلفين أولهما العالم الداخلي و المتمثل في الغرفة ،و ثانيهما العالم الخارجي وهو القرية ، وكانت النافذة المتنفس الوحيد للبطالة؛ حيث تطلق العنان

1-ريح الجنوب،ص77

2-بنية الشكل الروائي : ص 162

3- بنية الشكل الروائي ،ص217

لخيالها من خلالها ،تسبح في عوالم كثيرة ،وعندما تصلها أنغام الناي تنسى كل ما هو أمامها من مناظر طبيعية وتحاول تخيل صورة لرابح صاحب تلك الأنغام " فتحت نافذة حجرتها المطلّة على جزء من البستان ، ومضت تحقق فيما لا نهاية له ، وارتسمت في ذهنها صورة وهي ترى قمم جبال جرجرا في نهاية الأفق ، صورة لا تمثل المدرسة ولا الجزائر و شوارعها الطويلة و لا الفتيان و الفتيات الذين يغدون و يروحون أزواجا أزواجا في العشايا الظليلة، بل صورة راعي الغنم الذي استمعت ذات يوم لألحان نايه العذب ،فتخيلته أميرا سحريا في عالم من العوالم الرؤى و المستغلات " ¹ ولأنها تصورته أميرا دفع بها الأمر إلى أن تستعين به عندما أرادت بعث الرسالة إلى خالتها بالجزائر ، قد تولدت عندها هذه الأفكار بفعل مطالعاتها للروايات الخيالية ، التي يتم فيها سجن البطلة، ثم يأتي الأمير لإنقاذها ،هذا ما أرادت تطبيقه على أرض الواقع ، ولأن رابح كان الشخص الوحيد الذي يتردد كثيرا إلى بيتهم بحكم عمله عند ابن القاضي ، فان نفيسة فكرت في الاستعانة به ليحمل رسالتها إلى البريد ،و النافذة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من الاتصال برابح و "فتحت النافذة الخارجية وانتظرت مروره ...و إذا اقترب من الدار أدهشه أن يرى النافذة مفتوحة و نفيسة أمامها ! وتعجب أن لم تختفي إذ رأيته ! وإنها تشير إلى أن يقترب ! لم يكذبصدق نظره! إنها تشير إليه بالاقتراب لا شك في ذلك" ²

لقد مثلت النافذة لنفيسة النور الذي يبعث الأمل في نفسها ،فيدفعها ذلك إلى نسيان العالم الداخلي الذي تعيشه و استقبال العالم الخارجي الذي يمثل لها المستقبل، و فتحها للنافذة باستمرار يوحى بمحاولات فاشلة تقوم بها نفيسة للانفلات والهروب من المكان الذي يحاصرها ، و تطل البطلة على تلك المناظر الخلابة التي تمثل لها الأمل والحلم ،ويبدو أن النافذة هي المكان الوحيد الذي تجد فيه نفيسة إنسانيتها التي قضت عليها الدار و الغرفة، فكان النظر إلى الأفق من خلال النافذة الطريقة الوحيدة التي تروح بها على نفسها " وامتد

1-ريح الجنوب،ص87

2-ريح الجنوب،ص93

نظرها إلى أقصى نقطة تسمح نافذة غرفتها بوصول النظر إليها ، فكانت النقطة عبارة عن جزء من أفق صغير محدب الاستدارة، وكانت عيناها وهما تنظران إلى المكان تحاولان متابعة اعوجاجه جيئة و ذهابا كما لو أنها تود كتابة خط يوازي احدوَاب الأفق ، و قالت في نفسها : كل شيء هنا معوج حتى الأفق ...¹ إن هبوط معنويات نفيسة و صعوبة الحياة التي تعيشها جعلتها تنظر إلى المكان بتشاؤم ،فلو كانت نفسيتها جيدة لما انتهت إلى هذا الاعوجاج ،ولرأته بأجمل عين .

2-3 الطريق

تعتبر الطريق أهم وسيلة للانفتاح على الأمكنة الأخرى ؛ فهي بمثابة همزة وصل بين المكان الذي نتواجد فيه ،و المكان الذي نرغب في الذهاب إليه .

تعددت الطرق في الرواية ، من أهمها ذلك الطريق الذي اتخذته نفيسة للهروب من القرية إلى المدينة و التي جاءت تبعا لبنية الأرض، فكان الطريق الذي هربت منه نفيسة كان وسط الغابة ، حيث جهز الكاتب المكان ليكون عائقا أمام نفيسة " و الأرض التي تمر بها الطريق تكثر فيه الانخفاضات و الارتفاعات و الشعاب مما يمدد طول المسافة وإضافة إلى صعوبة المكان فقد تحالفت الطبيعة مع هذا الأخير ضد نفيسة ، حيث كان الحر شديدا مما زاد من صعوبة المهمة و" اخذ الجو يجفف حلقها و يزيد الطريق مشقة مكملة لمشقة السير"² فنفسية عندما قررت الهرب لم تفكرا بدا فيما قد يواجهها في الطريق ؛لان هدفها واحد وهو الوصول إلى المحطة ، و الانطلاق إلى العاصمة ،فحدث أن وقف الطريق ببنيته كمانع لهذا التغيير ، ورغم ذلك" مضت في طريقها بين لسعات الشوك ولفحات الحر ، ولولا إرادتها القوية في الوصول إلى المحطة مهما كان الحال لأقعدتها العياء عن مواصلة السير "³

1-ريح الجنوب،ص87

2- ريح الجنوب،ص201

3-ريح الجنوب : ص 241

إن التغير الذي أراده الكاتب أكبر بكثير من العياء الذي تحس به نفيسة؛ لذلك نجده حملها أكثر مما تتحمله كامرأة.

. لقد رمز و أشار الكاتب في هذه الرواية إلى المشاكل والعادات و التقاليد البالية التي تقف

كحائل أمام المرأة ،بلسعات الشوك و لفحات الحر فبرغم من كلما بذلته المرأة لتحسين

وضعها إلا أنها مازالت على ماهي عليه " كانت قد قطعت مسافة تبلغ حوالي ستة كيلو

مترات منذ خروجها ، بينما خيل إليها أنها مشت أكثر من عشرين كيلومترا"¹ لقد أحست

نفيسة بأنها قطعت مسافة كبيرة نظرا لوحشية المكان و صعوبته ، بل وخطورته أيضا، حيث

يتواجد على بعض الحيوانات الخطيرة كالثعابين ،حيث تعرضت نفيسة للسعة احد، وهذا

تعبير من الكاتب يخبرنا من خلاله عن فشل مشروع التغير حيث يجب التخطيط و بشكل

محكم من اجل مشروع كهذا .

إن ذهاب نفيسة في طريق خاطئ ؛يوحي بان المجتمع بحاجة إلى من يوعيه و يأخذ بيده

كما اخذ رابح بيد نفيسة ، والتعب الذي نال من هذه الأخيرة؛ هو تعبير عن التعب الذي

عانى منه المجتمع الجزائري عامة و المرأة خاصة ،رغم أن نفيسة جمعت كل المعلومات

التي احتاجتها للهرب إلا أنها وقعت في مشكلة لم تتوقعها بالازافة إلى ضلالها الطريق "

إذن ضللت الطريق"² فمشروع التغير هذا لن ينجح إلا إذا تعاون الجميع واشتركوا في تحديد

مصيرهم.

لقد سقطت العجوز رحمة بسبب الطريق الذي تكثر فيه الانعراجات و الانحدارات ،سقطت

لما " وصلت إلى نقطة أخذت الطريق فيها تنحدر ، وأحست باشتداد ثقل التراب على

ظهرها"³ نستنتج هنا أن معظم طرق القرية إن لم نقل كلها تتسم بالصعوبة و لا تصلح إلا

للمشاة من أهل القرية و دوابهم ، وتعتبر هذه إشارة من الكاتب يلفت بها العيون إلى القرى

و، الفرد القروي على وجه الخصوص لتحسين مستواه المعيشي ، محاولا بذلك نقل

معاناة القرى إلى السلطات، على لسان المعلم الطاهر المتمثلة في البلدية لو " ... فكرت في

1-ريح الجنوب،ص241

2-ريح الجنوب : ص 247 .

3-ريح الجنوب،ص118 .

تعبيد طرق هذه القرية و القرى التابعة لها ... لما بقي فقر و جهل¹ باعتبار الطريق من أفضل الوسائل التي تساهم في التغيير؛ فهو الرابطة التي تربط الشعوب ببعضها، و تساعد على تبادل الثقافات والمنتجات؛ و هكذا يتحقق الانفتاح على الآخر من خلال الطريق التي تساهم في انفتاح الأماكن المغلقة على العالم الواسع.

لكن عزوف أهل القرية عن العمل كان سببا في فشل كل محاولة للتغيير، وقتل كل أمل موجود فيها، فرغم قرب هذه القرية من القرية المركزية، و التي تتميز عن غيرها من القرى بأنها "معبر للطريق الوطني الرئيسي الذي يربط بين الجزائر و قسنطينة و لطريق السكة الحديدية، و من هنا كانت لها هذه الأهمية بالنسبة للقرى الأخرى و اعتبرت مركزية"² إلا أنها لم تجني أية فائدة من موقعها الجغرافي لأنها لم تستغله في أي شيء، كعرضها لمنتجاتها التقليدية و اليدوية على حافة الطريق مثلا

من هنا نستشف أهمية الطريق بالنسبة للقرية لأنه يعتبر جزءا " من النسيج العام للأمكنة"³ وأسهل طريق في القرية هو ذاك الموصل إلى المقبرة حيث يمكن المشي فيه دون عناء لأنه يخلو من الانعراجات و الصعود و الهبوط، و سهولة هذا الطريق دون غيره من الطرق هو دليل على حب أهل القرية لهذا الماضي، و ارتباطهم به رغبة منهم في نسيان وقعهم المؤلم و تخوفهم المستمر من المستقبل.

1-ريح الجنوب،ص80

2-ريح الجنوب،ص67

3-ريح الجنوب،ص20

2-4 الجزائر العاصمة

تمثل الجزائر الحرة التي يحلم بهاو سكان أهل القرية ، كما تعبر عن الأمل الذي يملأ نفوسهم باعتبارها قبلة القاصدين و مطمح النازحين ، ومستودع الآمال و الأحلام ،ونفيسة واحدة من الذين يحلمون بالعيش في مدينة الجزائر لأنها كانت تحس بالغربة في القرية " ...لو قضيت العطلة في الجزائر لاستطعت أن ألقاه " ¹

1- نجد أن نفيسة رغبت في قضاء العطلة في الجزائر حتى تلتقي بشاب هناك ، إذن فتعلق نفيسة بالمدينة كان نتيجة إحساسها بالراحة و الاستقرار النفسي و العاطفي فيها ، على عكس القرية التي تسبب لها الخناق ، و لان نفيسة تدرك قيمة و جمال المدينة فإنها تتلمس العذر لامها لأنها لا تعرف الجزائر " مسكينة أمي ، لو عرفت الجزائر لبكت لرجوعي " ² لقد انبهرت نفيسة بالجزائر لدرجة جعلتها تتعلم كل ما يعبر عن ثقافة هذه المدينة ، و أصالته كتعلمها لشؤون المنزلية ، و غرض نظرها عن كل ما يتعلق بالشؤون المنزلية المتعلقة بالقرية ، تعبيراً منها عن الاحتقار الذي تكنه لهذه الأخيرة ، ودليل هذا ما قالته للعجوز رحمة " لا أحسن إعداد الأطعمة التي تصنع بالبادية ياخاله ، أما غيرها فأحسن كل شيء " ³ كل هذا ماهو إلا تعبير عن رغبة نفيسة في الانفصال عن المكان الذي تعيش فيه ، و استبداله بالمدينة حتى إن المقارنة بينها بين القرية أمر غير منطقي من وجهة نظرها فهي لم " تجد أي نقطة للمقارنة بين الحياة الساذجة البسيطة التي يحيها أهلها و كل سكان البادية ، وبين الحياة الحضرية المعقدة التي عاشت منها قليلا لدى خالتها " ⁴ و تعتبر الجزائر المكان النموذجي الذي يحلم كل إنسان بالعيش فيها و لاسيما نفيسة التي استطاعت أن تحس بإنسانيتها و أنوثتها بشكل خاص على عكس القرية التي تمثل اللامكان "الجزائر آه ن ما أمر حياتي هنا ... هناك الفتاة تبحث دائما عن احدث طريقة لإبداء ما قد يخفى فيها

1-ريح الجنوب،ص10

2-نفسه

3-ريح الجنوب ،ص32

4-ريح الجنوب ، ص 33 .

من جمال ، وهنا نبحت دائما عن احدث طريقة لإخفاء الجمال و القبح معا ، هناك نخرج كل يوم ، و في اليوم عدة مرات ، وهنا نخرج طوال حياتنا كلها ثلاث مرات ... في الجزائر أفكر في كل شيء ماعدا في نفسي ، وإذا فكرت فيها فمن حيث اتصالها بالآخرين ، وهنا لا أفكر إلا في نفسي ، و إذا فكرت في الآخرين فلا اتصال ذلك بشيء يخصني ...¹

وهنا نجد نفيسة تتحدث عن ثلاثة أشياء جعلتها مقياسا للتفاضل بين المدينة و القرية وهي: أولا التحرر من قيود التقاليد التي تفرض على المرأة إخفاء جمالها، ثانيا الخروج و التجوال في الشوارع دون رقيب، ثالثا: مشاركة المجتمع و إبداء الرأي

لقد نظرت نفيسة إلى المدينة في شكلها السطحي ، أي أنها مكان منفتح يستطيع فيه الفرد العيش بكل حرية و بالشكل الذي يريده متناسية جانبها السلبي فنظرتها " نظرة قاصرة تتعامل مع المدينة تعاملًا خارجيًا فلا ترى فيها إلا كل حسن و جميل ،بينما الواقع يقول غير ذلك، فعلاقات المدينة هي علاقات أكثر فضاة و استغلالا من تلك التي تحكم الريف ، وتتطلب وضعًا أكثر نضجا للتعامل معها² سبب عدم تفكير نفيسة في الجانب السلبي للمدينة هو عدم تعرضها لأية مشاكل عندما كانت في المدينة ، بالإضافة إلى حالة الاستقرار التي أحست بها و هي في بيت خالتها لما وجدت فيه من الألفة أكثر من دار أبيها ، رغم أن ابن هذوقة لم يتحدث في سياق السرد عن ظروف معيشة نفيسة وهي في بيت خالتها .

إن حديث نفيسة هو دعوة من الكاتب إلى شن ثورة ثقافية تقضي بإعادة النظر في العادات و التقاليد البالية ، وكذا محاولة التعايش و اللحاق بالركب الحضاري ، عوض الخمول الذي افترس أهل القرية ،وهو بالضبط ما دعا إليه القانون المتعلق بخدمة الأرض و القضاء على النظام الإقطاعي ، فمن خلال العمل يثبت الإنسان ذاته و يحقق هدفه في التحرر و التطور لم تحرك نفيسة ساكنًا أمام المصير الذي فرضه والدها عليها " أبوها يقرر منعها من العودة إلى الجزائر ، من مواصلة الدراسة يقرر تزويجها، يختار هو من تتزوج به " ³

1- ريج الجنوب، ص216 .

2- محمد نحر يشي، أدوات النص، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2000، ص18

3- ريج الجنوب : ص 87 .

بالرغم ما تتمتع به نفيسة من ثقافة ، إلا أنها لم تستطع مواجهة سلطة أبيها الجائرة ، فأرسلت له كلماتها بدل أن تواجهه بها "قولي له لن أتزوج و لن انقطع عن دراستي ، سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال" وكنتييجة لما سبق اختارت نفيسة افشل الطرق للتحرر من المكان وهو الهروب ، فالموقف الذي وقعت فيه جعلها تحس أكثر بوطأة المكان، وكذا الفرق بين حياتها في المدينة و حياتها في القرية "الجزائر كان المستقبل وحده الذي يهمني ،أما هنا فأين هو المستقبل؟¹ إن تعلق نفيسة الشديد بالمدينة جعلها تفكر في حل الهروب الذي يعتبر سلوكا جبانا ،إلا انه جرأة خصوصا إذا صدر من امرأة و في مكان مغلق مثل هذه القرية ،اعتقادا منها انه الحل المناسب و المخرج لها من ذلك المأزق ضنا منها أن المدينة توفر لها العدالة ،و تشعرها بالأمان و الطمأنينة التي تحتاجها ،لم تكن نفيسة وحدها التي فكرت في الانفلات من قيود المكان الريفي ، بل فكر في ذلك الكثير من شباب القرية من بينهم رابح راعي الغنم ، حيث كان هذا الأخير واحدا من بين الكثيرين الذين طمحووا في الذهاب إلى الجزائر بغية العمل، لكن اقتناع رابح بهذه الفكرة جاء بعد أن شتمته نفيسة ،وأحس منها بالاهانة هروبا من الألم النفسي الذي يحسه؛ حيث قرر الابتعاد و هجر القرية بعد أن عرف أنها سبب قذارته و رفض نفيسة له ، فالكاتب هنا جعل الشخصيات تكتشف نفسها وواقعها ، و من ثم يترك لها الخيار في تقرير مصيرها بنفسها ، فاختر رابح العاصمة بديلا عن القرية ، لكن صانع القفف واجهه بواقع ذلك البديل قائلا: " العمل الوحيد الذي تجده بالجزائر هو ذلك الذي تركته يا بني ، لو فكرت لبقيت في مكانك حتى تتيسر الأمور "² ؛ فالعمل في المدينة يكون تبعا لثقافة و مستوى العامل، مما يدل على أنها متطورة، لذلك يصعب على رابح إيجاد العمل فيها .

1ريح الجنوب،ص216

2- ريح الجنوب،ص117

2-5 الشارع

يستمد الشارع أهميته من المكان المتواجد فيه، و ترتبط لفظة الشارع بالمدينة لأنه " اتفق على أن كافة الطرق داخل المدينة تسمى شوارع"¹

نجد أن الكاتب انتقى كلماته بعناية فائقة ، و استعملها في أمكنتها المناسبة ، و قد ورد الشارع في هذه الرواية في مخيلة نفيسة حينما تذكرت الجزائر " الجزائر ، الشوارع الطويلة "² فالشوارع إذن لم تكن حاضرة في الرواية إلا عبر مخيلة نفيسة ، فكانت أهم ما تتذكره من المدينة ؛ لأنها أثارت في نفسها الراحة و الطمأنينة ، رغم أن معظم الأدباء يتحدثون عن فوضى و ازدحام شوارع المدن بشيء من التأفف؛ فينقلون إحساسهم هذا إلى القارئ ، على عكس هذه الرواية التي احدث فيها الكاتب مفارقة جعلت القارئ يحس من خلالها بالارتياح ، فكثيرا ما يتلون إحساس القارئ بإحساس البطل ؛ فينزعج لانزعاجه ، ويرتاح لارتياحه. لقد تحدث الكاتب عن هذه الشوارع بحب على لسان البطلة نفيسة ، رغم ما يتميز به الشارع من فوضى ، فهدوء المكان الذي تعيش فيه نفيسة كاد يميت الأشياء ؛ لذا فقد مثلت لها شوارع

الجزائر الحياة النابضة ، كما كانت لها بمثابة المكان الحيني الذي يذكرها بفترة جميلة قضتها في العاصمة.

2-6 البحر

يعبر البحر عن مدى اتساع العالم و رحابته، فهو أفضل مكان يستطيع الإنسان أن يخوض فيه دون حواجز ، و لقد مر البحر في الرواية عبر ذاكرة نفيسة ، حيث كانت تفكر فيه دائما فا" البحر مرآة السماء ترى الشمس فيه وجهها ، و بالليل تصير المرأة حوضا للسباحة تستحم به عذاري النجوم ، و الاستحمام ذريعة للقاء القمر ... البحر أيضا شوق دائم إلى السفر ، البحر أيضا حلم لمن يبحث عن حلم، و البحر بعد ذلك مستودع الحيات التي خلقت و مجها أصحابها"³

1- جماليات المكان في الرواية العربية، ص60

2- ربيع الجنوب ، ص216

3- نفسه

إن المعاناة التي تعيشها نفيسة، جعلتها تتذكر البحر بصفته يؤمن الراحة النفسية ؛ و لان معاناتها كانت بسبب المكان الضيق ، فقد رحلت بتفكيرها إلى أوسع مكان عرفته وهو البحر رمز الحرية، ورمز الاتساع و الجمال الذي نفر إليه لنفرغ فيه كل ألامنا و أحزاننا ، فهو عالم الطهارة و الرومانسية ، يلجا إليه المحبون ليكون شاهدا عليهم.

2-7 فرنسا

لقد مثلت فرنسا سابقا العدو، لكنها تحولت بعد الاستقلال إلى أمل يتعلق به كل شاب تمسه المعاناة، ما يعكس التبعية إلى الغرب سيما في جانبها الاقتصادي، بسبب الحاجة إلى العمل ، وكان مقولة " فرنسا أم الجزائر " تتحقق ، فهام الأولاد يلحقون بأهمهم . فرنسا . هذا ما عبر عنه الكاتب من خلال قول الرعي راجح " آلاف الجزائريين يعملون في فرنسا... من قريتنا فقط ذهب أكثر من مائة شخص " ¹

. لم تكن نفيسة وحدها التي تشعر بالضيق في قريتها ، بل غيرها الكثير من شباب القرية يحسون نفس إحساسها ، فراح الجميع يبحث في مخيلته عن المكان الواسع كبديل للقرية ، فكانت فرنسا هي الأمل المنشود ، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه لان الهجرة إليها صعبة المنال ، وهو ما عبر عنه الكاتب على لسان إحدى شخصيات الرواية " فرنسا ... أو تضمن أن العمل في فرنسا سهل؟ ، لو رأيت أنا ذلك ممكنا لما بقيت هكذا كل يوم مع شوك الحلفاء... إن القوانين تغيرت، كانوا في الماضي يكرهونها، أما بعد الاستقلال فصاروا يودون لنا الفناء، فرنسا لم يعد لنا فيها مجال للعمل " ²

إن رغبة شباب القرية في تحسين واقعهم و التغيير إلى الأحسن ما هو إلا انعكاس لرغبة الكاتب نفسه، لكن ذلك ليس بالأمر الهين؛ إذ يقف أكثر من حاجز أمام هذا التغيير ، فالأمل في نفس كل شخص اكبر من تفكيره و قدرته على التغيير و الأمل.

1-ريح الجنوب،ص116

2-نفسه

الفصل الثاني

علاقة المكان بمكونات السرد

- 1- علاقة المكان بالأحداث
- 2- علاقة المكان بالشخصية
- 3- علاقة المكان بالزمان

أنواع الأمكنة

تحتوي أمكنة رواية ربيع الجنوب على نوعين من الأمكنة هما :

الأمكنة المغلقة و الأمكنة المفتوحة

و يعتبر هذا التقسيم ضرورة ملحة حتى نلم بجزئيات المكان و نبحر أكثر في عالم المكان ؛ من اجل ذلك اتبعنا طريقة الثنائيات التي جاء بها يوري لوتمان و الثنائيات كما جاء بها حسن البجراوي ، و الثنائيات هي عبارة عن معنيين متعاكسين و متناقضين ، لا يمكننا استخراجها من النص الروائي إلا بعد التوغل في معنى الأمكنة ؛ بإظهار الأبعاد المحيطة بالمكان و الكشف عن درجة تأثيره و تأثره بكل ما يتصل به سواء كان ماديا أو معنويا ، و هي طريقة نعرض من خلالها الواقع الروائي و نفسره في شكل ثنائيات متناقضة .

ولقد تمثلت الثنائية في هذه الرواية في عدة أشكال، منها ثنائية "الانفتاح و الانغلاق " وثنائية الثراء و الفقر"، و ثنائية " الجهل و التعليم "، وثنائية "المدينة و القرية، و ثنائية " (الداخل و الخارج) .إلى أن نحصر جميع التقابلات في هذه الرواية ؛ تجعل هذه الثنائية القارئ في حالة من النشاط الفكري فتثير فيه الكثير من التساؤلات ؛ فحتى يجيب عنها يعمد إلى تفكيك اللوحات والمشاهد المكانية فيصل بذلك إلى هدف الراوي من اختيار هذا المكان داخل هذه الرواية دون غيره ، إن تحول بيت إلى الإقامة الجبرية في الرواية هو محاولة من الكاتب لكشف الشخصية عن ذاتها ، وهو انتقال من العالم الخارجي نحو العالم الداخلي، فيعتمد الكاتب على المكان كوسيلة لإبراز كوامن الشخصيات و إبراز المكان بكل أبعاده النفسية و التشكيلية .

و يحس القارئ بالانغلاق في الرواية، سواء على لسان الشخصيات ،أو من خلال ردة أفعالها اتجاه الأحداث و الظروف المحيطة بها ؛ مثل صعوبة التنقل داخل القرية و انعدام وسائل النقل المتطورة ، سيادة الجهل وكبح حرية المرأة ، وتخرق البطلة في الرواية المكان

المغلق بالدفاع عن حقها بمحاولة الهروب ، و الخروج من سيطرة هذا المكان لإكمال تعليمها ومواصلة حياتها المدنية.

اختار الكاتب القرية كمكان مغلق ميدانا لتحرك الشخصيات فيه، إلا أن البيوت الموجودة بها تبدو مفتوحة على بعضها بسبب حركة الشخصيات ،فنلمس ثنائية الذهاب و الإياب ، الدخول و الخروج؛ كدخول رحمة إلى دار ابن القاضي باستمرار، و كإقامة ابن القاضي للمناسبات و دعوة الأهالي إلى بيته، و كذلك دخول الجارة دون استئذان على بيت الراعي عندما كانت نفيسة هناك.

و تدخل كل هذه البيوت و الغرف في قائمة الأماكن المغلقة، باستثناء المقهى الذي يعد ضمن الأمكنة المفتوحة، و قد ضمها حسن بحراوي إلى أمكنة الانتقال؛ لان ثنائية الدخول و الخروج بها تبدو قوية جدا و مستمرة، سواء في القرية أو في المدينة. و حتى الأمكنة المفتوحة فقد عرضها الكاتب من خلال الأمكنة المغلقة؛ عبر استنكار نفيسة للمدينة، و الشوارع و الجامعة، و كذلك البحر بكل ما يحمله من معنى الاتساع و الانفتاح. و جاء على ذكر فرنسا على لسان الشخصيات التي ترغب في السفر إليها، لكن لم تتحرك الأحداث ضمن هذه الأمكنة، مما يفسر طغيان المكان المغلق في هذه الرواية.

و لقد تلونت هذه الأمكنة بلون الحزن الذي كتب به الكاتب بداية من العنوان؛ الذي يعد مرشدا مهما للقارئ حتى يتعرف على بيئة هذه الرواية ،و محاولة من الكاتب لتحسيس القارئ بصعوبة و شظف العيش و تعقد الحياة في ذلك المكان الذي اختاره أرضية لأحداث روايته.

الضيق لا يعني فقط صغر المساحة التي تتحرك فيها الشخصيات بل ما تحسه هذه الأخير داخل هذه المساحة، فالقرية مكان مغلق على نفسه لا تغادره الشخوص، و لا تتحرك الأحداث إلا فيه.و يبقى هذا المكان منغلقا حتى آخر لحظة من الرواية ، و تستمر الثنائيات المكانية نتيجة الرغبة في التغيير و التطور ، و الصراع الدائم في الحياة ، و في جميع

المجالات فينعكس ذلك على أنواع الأمكنة ، فنتجت لدينا لوحات مكانية متشابكة و معقدة " فالمكان المتسع يمنح الإحساس بالاتساع الزمني و الاقتراب من الزمن المطلق، و كلما اتسع المكان نفقد الإحساس بوطأة الزمن ، ونشعر بما يشبه الراحة و الطمأنينة ، و كذلك المكان الضيق يوحي بالاختناق الزمني و بالتالي الإحساس بالنهاية"¹ و تعتبر دراسة و حصر الأمكنة ضمن ثنائية الانغلاق و الانفتاح مقارنة ووسيلة مهمة للتحليل و الاقتراب من المشاهد المكانية الروائية لفهم المكان .

الأمكنة المغلقة

1-1 القرية

تتكون القرية من مجموعة من المنازل المتناثرة هنا و هناك فوق الري ، باستثناء وجود بعض البيوت و الجامع و المقهى في مركز القرية ، وغالبا ما تكون البيوت التي تقع فوق المرتفعات لفقرء القرية مثل بيت الراعي رابح الذي يقع على " ربوة مشرقة على بساتين القرية "² و بيت العجوز رحمة الذي يقع بدوره في " مكان مرتفع كمعظم دور القرية "³ و تعيش هذه القرية منعزلة عن باقي القرى المجاورة ، هذه العزلة جعلتها بعيدة عما يحصل خارجها ، و طبيعتها القاسية تتحكم في حركتها اليومية حتى أصبحت الريح جزاء هاما في بنيتها ، فحين تهب الريح تتوقف جميع أعمال أهل القرية حتى تسكن ، و هذا ما يعكس تبعية القرية و استكانتها أمام قوة الطبيعة التي تضر المحاصيل دون أن يحرك أهلها ساكنا ، فما عليهم سوى إنتظار فرج الله و يدعونه أن يكشف عنهم ضرر هذه الريح التي تحول القرية في دقائق إلى خراب .

يعيش أهل القرية في ضيق نفسي رهيب طول السنة و " الحقيقة أن للريح دخلا كبيرا في هذا الضيق الذي يستولي على النفوس وهذا الجو الكئيب الذي غشي القرية " فما يجمعه

1 بهيجة مصري ادلبي، الزمن بين الخيال و العلم، دار عبد المنعم ناشرون، 2005، ص36.

2 عبد الحميد بن هدوقة ، ربيع الجنوب، ط5، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص102.

3 ربيع الجنوب، ص145

أهل القرية طول السنة يدمر في لمح البصر "القبلي هو سبب خراب هذه القرية ، ما جمعه الناس من حصيد أصبح في الشعاب و الأودية"¹

إن تأثير الريح على القرية بهذا الشكل الرهيب، يعكس مدى أهمية المناخ في تشكيل صورة المكان، فيتأثر المكان إما سلبيا أو إيجابيا بالظروف الطبيعية المحيطة به.

و استطاع الكاتب من خلال ذلك أن يقرب الصورة الحزينة إلى ذهن القارئ، و تحسيسه بقسوة الحياة و العيش في هذا المكان، فكانت الريح عنصرا معاديا في الرواية خلفت وراءها خسارة مادية و معنوية لأهل القرية ، ويستمر الفلاح في خدمة الأرض على الرغم من ما يعانيه لأن " العمل الفلاحي هو مقياس الإنسان ، والأرض هي التي تسمح بالتميز بين الإنسان الفعلي والإنسان الذي لا يساوي شيئا "²

أما الجزء الآخر هم الشباب ؛الذين يعتبرون القرية مجرد سجن يقضي على أحلامهم ،فلا يحسون بطعم العيش وهم في داخلها ،و ينتظرون أي فرصة للهروب منها ؛ بحثا عن راحة البال و لقمة العيش، في بلد يحسون فيه أنهم نالوا الاستقلال ،بخلاف القرية التي تبدو أنها مازالت في ظل الاستعمار وبعيدة كل البعد عن الحياة التي ينعم بها أهل المدينة .

و المرأة أيضا تعاني من هذه الحياة القروية الجافة ،فمعظم تقاليد هذه القرية ضدها ، و في نظر نفيسة "المرأة" بدورها تتعاون مع هذه التقاليد ضد المرأة ؛مثل الحصار الذي فرضته أمها عليها منذ لحظة و وصولها إلى القرية ، حتى أنها لم تستوعب طريقة تفكير أمها التي من المفروض أن تحسن بمعاناتها" إن أُمي تمنعني من الخروج هنا ... في هذه القرية الخالية ! بينما في الجزائر في كل خطوة رجل و أخرج دون أن ينكر عليا أحد ذلك ،فلماذا الخروج هنا عيب وهناك لا ؟ هنا مسلمون وهناك ملحدون ؟ أم أن المرأة تتبدل حقيقتها من مكان إلى مكان؟ " ³.

1 ربيع الجنوب ، ص 192.

2 عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، ط1، تونس، دار محمد علي للنشر و التوزيع ، 2003، ص 211.

3 ربيع الجنوب ، ص 38

لكن رحمة بخبرتها وكثرة تجاربها ، استطاعت أن تعي الفرق الكبير بين ما تحياه المرأة في هذه القرية ، وما تحياه غيرها في المدن وحاولت أن تقنع نفيسة بذلك "كل بلد لم مقاييسه يا نفيسة ! هل قريتنا و مدينة الجزائر متساوية في كل شيء ؟ وهناك النور و الدور واليابسات و الجنات ...وهنا يا بنيتي إن خرجت ماذا تريدين؟ هنا لاشيء أكواخ و جبال و ليل و نهار الرجال هنا كالوحوش يلتهمونك بأعينهم إن رأوك ، فهم لا يرون مثلك في بيوتهم ولا في غدوهم و لا في رواحهم " ¹.

فإذا كان الجمال في الأمكنة المفتوحة نعمة على المرأة، فقد يكون في هذه القرية سبب بؤسها و شقائها ، مثلما حدث مع نفيسة ؛فهي تتمتع بجمال خلاب جعل كل أهل القرية يتحدثون عنه، ولأن العجوز رحمة شخصية فنانة فهي تقدر و تتجذب لكل ما هو جميل يساعدها في نحت ورسم أوانيها ، وقد أبهرها هذا الجمال " آه لو استطيع أن أصنع أنية واحدة توحى لناصرها بما توحى به هذه الفتاة ! ... لكنك أذن أسعد امرأة!.. ² .

وقفت العجوز رحمة عاجزة أمام هذا الجمال ، رغم ماتمتع به من قدرة فنية في رسم الأشكال الفخار ، مثلما يعجز أهل القرية أمام ريح الجنوب "فالعجوز رحمة تصنع الفخار والفخار من القدم كان رمزا للحق و التكوين ، هي تبني الأواني وفي كل مرة تتصور الآنية التي تعمل بها لم تصل إلى صنعها بعد فتعيد الكرة لصنع أوني جديدة، لكن الآنية الحلم التي لم تتصور جزئياتها و دقائقها في نفسها لن تسعف يداها على صنعها تموت و يبقى الطين طينا " ³ ولعل هذا الجمال الذي تتميز به نفيسة هو الذي هوى العجوز رحمة لأن تفكر في تلك المفارقة بين المدينة و القرية و تحيب عن أسئلة نفيسة بذلك الوعي .

1 نفسه .

2 ربيع الجنوب ، ص 37

3 عبد الله أبو هيف ، عبد الحميد بن هدوقة:في النقد الأدبي ، الملتقى الدولي العاشر ، عبد الحميد بن هدوقة ، الجزائر : إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريج ، 2008 ، ص.59

تتمتع نفيسة بجمال جذاب ميزها عن باقي فتيات القرية، هذا الجمال جعلها تعيسة طول فصول الرواية. " وهكذا شكلت هذه الأبعاد الجسدية الجميلة التي تتمتع بها نفيسة مصدرا أساسيا من مصادر تعاستها ، ولو كانت في بيئة راقية واعية مهذبة ، لكان مصدرا رئيسا من مصادر نجاحها و سعادتها ، و لتسابق الناس على كسب ودها ، بدلا من التسابق على تحطيمها ، و القضاء على مستقبلها ¹ حيث يبدو الجمال في هذه البيئة الريفية ظاهرا يجذب كل العيون و يشدها إليه.

ونلاحظ هنا إلى أن الكاتب يعلي من شأن الخبرة، ويقول لنا على لسان العجوز أنه مهما كانت ثقافة الجيل الجديد فهو دائما يحتاج إلى من هو أكثر خبرة منه ليجيب على أسئلته وان العادات و التقاليد وجدت لتحفظ قيمة المرأة في مثل هذه الأمكنة فالثقافة وحدها لا تكفي ليعي الإنسان معنى الحياة، بل لابد من تجارب وخبرة تتكون مع مرور الزمن. و خدمة الرجل و إنجاب الأطفال و إتقان أعمال المنزلية ، لذلك تعتبر نفيسة الزواج بالبادية شيئا بشعا إلى درجة قصوى " وإذن ما الفائدة في أن نتعلم حرف البادية ، إن الحياة التي تحياها الآن بين أهلها لا تختلف عما قرأته بخصوص عصور ما قبل التاريخ ! ² كذلك تسبب المرض في مظاهر الحزن التي بدت على القرية ،حيث حصد الكثير من الأرواح ؛ فزاد المكان ظلمة وحزنا حسبما روته رحمة لرابح "هب مرض على القرية في لم ترض نفيسة بهذا التفكير المحدود الذي أتعبها، و جعلها تحس بالتمزق و الغرابة في أمور تبدو في نظر أمها ومن حولها من الأمور اللازمة للنجاح في المستقبل ، فمستقبل المرأة في نظرهم هو الزواج إحدى السنوات العجاف لم يسلم منه إلا القليل ، بقينا حوالي ثلاث أشهر لا نعرف إلا المأتم ، حتى صار الناس لا يكون موتاهم من كثرة الموت ، إيه يأبني ... كم اخذ ذلك المرض من شباب و جمال؟ بيوت عن آخرها خربت ولم يبق من يزيد نارا³.

1 عمار زايد، الرواية العربية الجزائرية عند نقاد الاتجاه الواقعي بين النظرية و التطبيق، اطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2001/2002م، ص261.

2 ربيع الجنوب، ص33.

3 ربيع الجنوب، ص128.

بقي أهل هذه القرية يعانون رغم مرور سنوات على الاستقلال ؛ فحرم أطفالها من التعليم بسبب عقلية أبائهم الذين تعودوا على نمط معين من الحياة " حياة السكان القروية و ظروف معاشهم التي تستلزم تربية بعض المواشي ، حالت بينهم و بين الاتفاق على بناء المدرسة " ¹.

حيث لم يحض بالتعليم من أهل القرية إلا أكابرها ، ومن لهم أهل خارج هذه القرية والسبب وراء كل ذلك الفقر و ليس عزوف الآباء عن تعليم أبناءهم : " الحقيقة أن القرية فقيرة سواء أتنق السكان أو اختلفوا ، وأنها منعزلة عن كل شيء سواء تفرقت بيوتها هنا و هناك أو اجتمعت ² " ، كان التعليم ضروريا جدا للنهوض بحياة جديدة و متطورة، كان لابد من ثورة على العادات و التقاليد البالية التي تكبح التطور و تساعد على التخلف حسب ما دعا إليه الكاتب.

" ولم يبق للقرية إلا أن تدق أجرس الخطر و الإنذار ،وهي تلوح بالطبيعة و الأرض و البساطة و التفاؤل عساها تعدل الزيف بالأصول وتحد من الشطط الصناعي بفضل القيمة الطبيعية و تطعم المادي بلغة الرصيد الأخلاقي الروحي ، و تواجه الإسراف و الاستهلاك بالقناعة و التضحية . وهكذا تكون قد قالت كلمتها في مفهوم التطور و الحداثة، وأعربت عن اعتقادها بأن عهد المدينة الوليد لن يكون عهد الجنة الموعودة " ³

وكانت الأنغام التي تعزف من الحين لأخر تخفف كل هذا الألم و " العازف هو رابع راعي الغنم ! لا أحد يدري كيف كانت تبدو هذه القرية الفقيرة لرائيها لو لم يكن فيها هذا الراعي الطيب الذي يملأ سماءها أنغاما ! كم هي جميلة هاته الأنغام ! لكنها خلقت لتبرر

1 ربيع الجنوب، ص41

2 ربيع الجنوب، ص42

3 المكان في الرواية العربية ، الصورة و الدلالة ، ص 218

4 ربيع الجنوب، ص43

الصمت الحزين الذي يخيم على القرية ، أو أنها عذر لما يبدو عليها من فقر ! إنها بصفاءها وعذوبتها تجعل فراغ القرية أجمل مما أبدعه العمران !¹

وبقدر ما تزيل هذه الأنغام كآبتها عن النفوس بقدر ما توحى إلى القارئ الانقطاع الذي تعيشه القرية عن العالم الخارجي فكل الأصوات التي كانت تصدر في القرية هي أصوات " من طبيعتها وحياة أهلها "² هذا ما جعلنا نستنتج غياب العناصر الصناعية التي تعد بمثابة نقلة من التخلف إلى التحضر، و تغير في حياة أهلها بنقلهم من الحياة الفلاحية إلى الحياة الصناعية ، بتسخير أرضهم لتحسين المعيشة، فالتصنيع هو " العلامة التي تشهرها العصور الحديثة دليلا على الرشد و القدرة على الصنع و الابتكار . وهو رهان على المستقبل "³.

وقد كانت أنغام الناي تعبر عن أصالة القرية و تمسكها بماضيها، و الناي أحد الوسائل الطبيعية لأنها من، صنع يدوي ومادتها من قصب السكر الذي يتواجد بكثرة في أودية القرية.

كذلك خفت "رياح الشمال " ظلمة هذه القرية ؛وهي نقيض ريح الجنوب في كل شيء حيث "أزالت عن النفوس ما كانت تجده من ضيق و تحسه من حيرة ، وعادت إلى السماء زرققتها الصافية و لونها الصيفي وأفقها المحذب بقمم الجبال"⁴ فكانت تبعث الأمن و الطمأنينة في نفوس شبابها الذين يفكرون بشكل دائم في ما يؤمن لهم الراحة النفسية و المستقبل السعيد ، لكنهم لم يفكروا في العمل ، لأن نوعية العمل في القرية لا تعجبهم ، وهذا ما جاء على لسان أحد الشيوخ لشاب عاد من فرنسا (إن الناس هنا منذ الاستقلال لم يرقهم أي عمل ،

2 ربيع الجنوب ، ص 101

3 المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، ص 207

3 ربيع الجنوب، ص 197

كل واحد صار ينتظر أن تمنح له شهرية مقابل ما عمله أو لم يعمله أثناء الثورة ... ولولاكم
يأبني انتم الذين تحيون في القرية ، لولا ما ترسلونه من حوالات لما بقيت في هذه الناحية

دار قائمة ! إن الناس هنا كما قلت لك ، كرهوا العمل ... كرهوا الأرض و من يكره الأرض
ترجعه إلى بطنها ¹

إذن حتى تتغير أحوال القرية يجب القيام بثورة فكرية للنهوض بمستقبل جديد تفتح
معه الأفاق ؛ ويتحقق ذلك بكل كل القضايا المطروحة على العالم الخارجي ، و التحرر من
التبعية إلى الماضي ، و السير قدما دون الالتفات إلى الوراء ، وإعطاء المرأة فرصة إبداء
رأيها ومشاركتها الرجل في بناء مستقبل جديد .

1-2-دار ابن القاضي

لقد كان ابن القاضي من أعيان القرية؛ لذا كانت داره من أوسع البيوت و أجملها في القرية.
وأطلق بن هدوقة على مكان سكناه اسم "الدار" و الدار " غالبا ما تطلق على سكنى
الشيخ ، سواء كان هذا الشيخ زعيما اجتماعيا، أو غنيا ، أو عالما ، أو فقيها ، أو وجيها
من وجهاء المكان الذي يسكن فيه ، فليس كل مكان للسكنى كان يسمى دارا في العرف
الاجتماعي ² فنجد بن هدوقة حرص على الجانب اللغوي في الرواية و حدد الألفاظ فيها
تبعا لوظيفة أمكنته .

لقد كانت دار ابن القاضي من بين دور القرية التي تفتح لاستقبال الناس في
المناسبات التي تقام في القرية مثل : مناسبة تدشين المقبرة " من بين دور القرية التي
أصبحت تمتلئ نشاطا واحتفالا في ذلك اليوم دار عابد ابن القاضي ، فكثير ممن لهم صلة
بها من أقارب وفلاحين أصبحوا غادين رائحين حولها ، فهي التي ستستقبل ضيوف القرية

1 ربيع الجنوب، ص44

2 جماليات المكان في الرواية العربية، ص138

بعد إتمام تدشين المقبرة ، وليس الضيوف وحدهم الذين سيتناولون الطعام فيها ، بل كل السكان الحاضرين سواء دعوا للغداء أم لا ، فالعادة هي العادة ¹.
تكثر ثنائية الدخول و الخروج في هذا المقطع السردى مما يوحي للقارئ انه مكان ألفة وتضامن ، يفتح على مصراعيه للاستقبال كل من يقف على عتبه ، وانفتاحه بهذا الشكل يوحي باتساعه وراحة سكانه فيه وعيشهم في حرية وأمان ، لكنه على عكس الواقع ، إنه يتضمن في داخله كل معاني الضيق و الاحتجاز .
لقد اسقط الكاتب شخصية ابن القاضي على مقر سكناه فتلونت الدار بمشاعره وعكست مواقفه وأفكاره.

فشخصية ابن القاضي " على درجة عالية من الخطورة و التأثير ، وهي شخصية كاملة من حيث الوعي ، متنفذة في الحياة الاجتماعية ، و مؤثرة في المشاريع الاقتصادية ، وتعرف أهمية القيام بالواجب، وإن كانت لا تفعل ذلك خالصا لوجه الله ، فهي تعرف كيف تخفي نواياها ، وكيف تقوي مركزها و تخدم مصالحها ² رغم ما يشاع عن السمعة السيئة لابن القاضي إبان الثورة إلا انه لم يترك أي دليل يدينه .

فكانت الدار صورة مطابقة عن شخصيته ، فدار ابن القاضي لا تفتح إلا للمجاملة ، أو لتحقيق غرض معين يخدم مصلحة صاحبها مثلما حدث يوم فدوة العجوز رحمة " وجاء الليل فوجدت دار ابن القاضي قد استعدت كأحسن ما يكون الاستعداد لاستقبال سكان القرية ، و حفظة القران فيها ؛ حيث ستقام بعد حين الفدية المقررة صدقة على روح العجوز رحمة ... ³ ، وهذا الاستعداد الذي تبدو عليه الدار هو تغطية لنوايا خبيثة لابن القاضي وهي ؛ تحسين صورته أمام شيخ البلدية ليقبل مصاهرته من جديد والهدف

1 ربيع الجنوب، ص47.

2 المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، 244

3 ربيع الجنوب، ص198

الحقيقي عنده هو الأرض "الوسيلة إذن التقرب إليه و كسب عونه ولن يتيسر ذلك دون رابطة متينة تربط تربط بينهما"¹

يختلف الإحساس في دار القاضي من شخصية لأخرى ، فإذا كان لابن القاضي المكان الذي يمارس فيه سلطته على كل الأشياء ، فهو لنفيسة المكان الذي يقضي على حريتها و أحلامها لذلك نجد التوق إلى الخارج عندها متفاقم .

1-3- غرفة نفيسة

إن غرفة نفيسة من أهم الأمكنة في الرواية ، ورغم ضيق هذه الغرفة إلا أن نفيسة كانت تفضل البقاء فيها منعزلة عن باقي أفراد الأسرة ؛ متعلقة بأمور ثلاث : " أولا الكوة الخارجية التي تقسح للناظر مشهدا خلفيا جميلا ، نهايته القصوى جبال جرجرا : ثانيا هي لا تستطيع النوم مع أمها و أخيها في الفراش العائلي كما هي العادة لدى سكان القرية ، فهي تفضل الحجرة الضيقة على الذوبان النهائي في الأسرة ، وهناك سبب ثالث يدفعها للانعزال في هذه الحجرة؛ وهو مراجعة دروسها السنوية و مطالعة بعض الكتب و القصص التي جلبتها معها من الجزائر "² حيث نقلت نفيسة عادات المدينة إلى القرية ، وإلى بيتها ، فانعزلت عن أسرتها بإنفرادها في هذه الغرفة رغم الرقابة و الحصار الاجتماعي الذي تعيشه نفيسة والتي جعلت من الغرفة مكان ل " الإكراه الجسدي و النفسي وعزلا عن ممارسة الخلاقة في المجتمع "³ مما يؤدي إلى التشتت الأسري و التفكك الاجتماعي .

و يستطيع المكان أن يوفر للفرد الأمان الاجتماعي و يحميه من الضياع ، حتى و إن كان ضيقا كغرفة نفيسة ، والتي و جدت فيها الهدوء و الإنفراد بنفسها لمراجعة دروسها و الحرية في التصرف .

1 ربيع الجنوب، ص 107

2 ربيع الجنوب، ص 09

3 بنية الشكل الروائي، ص 69

" ومن هنا نجد أن المكان الاجتماعي متعلق مع طبيعة المكان الذي تقيم فيه " ¹ فوجود كوة خارجية في هذه الحجرة يقاس بأمل نفيسة في المستقبل ، وصغر هذه الكوة يعكس محدودية تفكير نفيسة ، فنجد الكاتب جهز هذا المكان منذ البداية لنفيسة ، وجعل هندستها ملائمة لنفسيتها ، والتي كانت تستغله في التفكير في "كل شيء" ² وفي لا شيء " أكثر ما تستغله في النوم أو الدراسة ، وعدها لألواح السقف باستمرار هو دليل على الأرق و الفراغ الذي تعيشه نفيسة منذ وصولها إلى هذه الدار " 7 ، 14 ، 21 ، لوحة ... كم عدت هذه الألواح ! عدتها واعدتها بالرغم مني مادت أحيا هنا.. " ، وغرقها في التفكير في نفسها و فيما حولها في هذا المكان ما هو إلا حيلة تلجأ إليها لتفقد إحساسها بالمكان الواقعي ، فترحل منه بخيالها إلى عالم أفضل منه .

إن خصوصية المكان ليس بما يحتويه من أشياء فقط ، بل بما تعنيه نفيسة كالمراة بالنسبة للمجتمع ، هذه الخصوصية التي لا يحترمها ابن القاضي الذي لا يأبه لأي شيء أمام تحقيق غرضه ، كأن يدخل رجلا غريبا إلى المكان الذي تنام فيه ابنته ، وهذا ما جعل "مالك" يتفاجأ عندما قاده ابن القاضي إلى حجرة نفيسة " المفاجأة التي كانت تنتظر مالكا لا تتمثل في مقابلة الحماة، ولكن في المكان الذي ستجري فيه ، وفيمن يجدهم معها ... " ³ و يدل اندهاش مالك من تصرف ابن القاضي على أهمية المكان و ما يحمله من قيم أخلاقية و اجتماعية، و التي انهارت أمام رغبة الرجل، مادامت تخدم مصالحه.

1-4-بيت رحمة

أطلق الكاتب على المكان الذي تسكنه رحمة تسمية " بيت " لأنه أقل حجما من الدار ، "و هي مساكن العامة من الناس" ⁴ و لم نتعرف على بيت رحمة إلا بعدما نقلها رابح إليه بعد سقوطها (دفع الباب الأسود الغليظ برجله فانفجرت أمامه قاعة بيت ، زواياها مظلمة ،

1 عمرو عيلان، الايدولوجيا و بنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، الجزائر، منشورات

جامعة منتوري، 2001، ص235

2 ربيع الجنوب ص42

3 ربيع الجنوب الجنوب ص56

4جماليات المكان في الرواية العربية، ص42

انبتت فوقها أوان فخارية جديدة و قديمة و متعددة، منها الجاهز للاستعمال، ومنها ما يزال في الطور الأول من التهيئة ، ومنها ما يزال طينا " ¹.

يبدوا ها البيت صغيرا متواضعا تفوح منه رائحة الفقر، إلا انه كان المأوى الذي تعود إليه العجوز رحمة بعد يوم كامل من العناء ،ومكانا لصنع أنية الفخار التي كانت تتبعها و تقتات من ثمنها .

وحياة هذه العجوز ما هي إلا انعكاس لحياة سكان القرية الذين يعيشون حالة من البؤس و الحرمان ، و يعلب المكان الذي تعيش فيه رحمة و وظيفتين : فهو مكان إقامتها من جهة ، و مكان عملها من جهة أخرى ، ولقد تحول هذا المكان بعد موت العجوز رحمة إلى مكان يعج بالحركة بعدما كانت قليلة فيه "ولم تمر الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم حتى امتلأت الدار وفناؤها بالنساء و العجائز و الأطفال ، و هي أول مرة عرفت فيها دار العجوز هذا العدد من الرواد فإذا ما الفته من سكون طوال الشهور والسنين صار ضجة عارمة وحياة صاخبة ،وإذا موت صاحبته أضفى عليها جوا من الحياة لم تعرفه يوم الزفاف " ².

ورغم أن بيت رحمة كان فقيرا بائسا ،إلا أنه حمل في طياته الكثير من الأحلام السعيدة بالإضافة إلى أنه المكان الذي عاشت فيه سعادتها مع أغلى إنسان ألا وهو زوجها ، وهو المكان نفسه الذي ضمدت فيه جروح مالك المجاهد ، الذي ما إن وصل إلى بيتها حتى تذكر ما فعلته العجوز معه ، حيث لم تتركه لحظة واحدة منذ أن نقل جريحا إلى بيتها ،ولم تتركه يغادر حتى شفي " و بقي صامتا واجما وجوما يصور ما كان يشعر به من حصرة و مرارة وأنسى في نفسه وفيمن حوله ، فرؤية العجوز و بيتها المظلم والأواني و الأثاث و

1 ربيع الجنوب،ص120

2 ربيع الجنوب،ص172

الصندوق الأسود وكل ما بالبيت من أثاث أعاده إلى الأيام الطويلة التي قضاها جريحا في هذا المكان الذي ترقد فيه العجوز ، كان ذلك إبان الثورة ...¹.

ويمكن القول بأن الحياة في هذه القرية عبارة عن ثنائية متضادة، أو تقابل بين السعادة و الحرمان والذي يعبر لنا عن هذين الآخرين هو المكان ؛ فإذا كان متسعا يشع منه النور فهو يعبر عن الحياة المترفة ، وإذا كان مظلما مثل هذا البيت فهو يعبر عن الشقاء و البؤس الذي يعيشه أفرادها ، لكن رغم هذا إلا أن البيت حمل في طياته العديد من القيم الإنسانية و الثورية في حياة العجوز و القيم الثقافية بعد موتها .

لقد حول مالك بيت رحمة إلى مدرسة كرد لجميل العجوز رحمة ، وهذا دليل على مكانة التي كانت تحظى بها العجوز عند أهل القرية فهذه الدار مصدر " لفيض المعاني و القيم "² حتى أن الكاتب حولها لغويا من بيت إلى دار بعد وفاتها ؛ رغبة منه في " إعلاء شأن المكان "³ .

فكان بذلك بيت رحمة مكانا للعتاء ؛فهو المكان الذي لجأ إليه مالك عندما سقط جريحا أيام الثورة ، وفيه عولج و نهض من مرضه بعد مدة طويلة ، رغم بساطة المكان و تواضعه ، لفقر أصحابه وبنيته؛ فهو لا يمنع حتى البرد من الدخول إليه " كان الباب ألوحا من الخشب قديم ،يمسكها إلى بعضها مسامير خشنة صدئة من القدم ، وبين اللوحة و الأخرى انعراجات تتسع لدخول اليد فضلا عن الريح "⁴ ، وعلى الرغم من كل هذا الفقر الذي كانت تعاني منه العجوز رحمة إلا أنها كانت قانعة ببيتها المتواضع الذي عاشت فيه كل حياتها بخلوها و مرها ،وهي تتذكر زوجها المتوفى في هذا الركن ،أو ذاك فتزِيل عنها الذكريات كل ذلك البؤس و الشقاء في هذا البيت الذي كان في نظرها غنيا بما فيه من أواني تصنعها بيدها .

1 ربيع الجنوب،ص146

2 بنية الشكل الروائي،ص43

3 جماليات المكان في الرواية العربية،ص139

4 ربيع الجنوب،ص148

1-5- بيت رابح

لقد تعرفنا على المكان الذي يعيش فيه رابح ، عندما اخذ هذا الأخير نفيسة إلى بيته، حينما و جدها على حافة الموت في الغابة فمثل لها البيت الملجأ و الحماية ، هذا ما عمل عليه الكاتب منذ البداية حيث جعل أم رابح بكماء لضمان سرية إقامة نفيسة في بيت ابنها ، فقد كان هذا الحل الوحيد أمام نفيسة بعد أن لدغها ثعبان منعها بذلك من السفر " سفرها غير ممكن و رجوعها إلى دار أبيها أيضا قد يكون غير ممكن ؛ نظرا لهروبها الغريب الذي لا تقبله تقاليد القرية و عوائدها "¹.

لقد جعلنا الكاتب نبحر في عوالم هذه الرواية، حيث أحسنا بنفس القلق الذي عاشته نفيسة في تلك اللحظات الحرجة ، ثم أعطانا الحل المناسب على لسان نفيسة و التي اقترحتة على رابح " ألا يمكن أن أذهب إلى دارك ،إنه المكان الوحيد الذي يليق بي ،فأمك لا تتكلم ، و هكذا أقضي أياما حتى أشفى ثم أذهب إلى الجزائر "² فقد كانت نفيسة في أشد حاجة إلى مكان يأويها في هذه اللحظات الحرجة لكن مع ضمان السرية ، وبحكم العادات و التقاليد يجب ألا تنام مع رجل غريب في مكان واحد ،وهذا ما فكر فيه رابح من " ناحية المسكن فلا وجود لحجرة زائدة فيه ، كل ما هناك بيت واحد يسكنه هو وأمه لكن هذه المشكلة قد يسهل حلها ؛ لأنه يستطيع أن ينام قرب الدار كما يفعل في غالب الأحيان "³.

و نلاحظ هنا أن رابح و نفيسة لم ينسيا عادات و تقاليد القرية ، والتي تعتبر أهم جزء من بنية هذا المكان ، لذلك يجب مراعاة هذا الجزء حتى نحافظ على البنية ككل ،هذا يقودنا إلى القول أن بنية المجتمع هي بنية خاصة ؛ لأنها جزء مهم من بنية المكان ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاقتراب منها .

لكن الظروف اقوي من الإنسان؛ كما حدث مع نفيسة التي تحدثها الطبيعة وأجبرتها على اللجوء إلى مكان لم تتصور في يوم من الأيام أن تطأه قدماها ، لكن رغم هذا و ذاك

1 ربيع الجنوب،ص248

2 نفسه

3 نفسه

فنفيسة و جدت راحتها في ذلك البيت " وأعجبت أيضا بنظافة البيت و ترتيب أثاثه رغم فقر أهله¹.

و نلاحظ هنا أن النظافة بالنسبة للبيت مهمة لتوفير الراحة النفسية ، وهذا ما حدث مع نفيسة التي أحست بالراحة في بيت الراعي رباح رغم فقره أكثر من بيت أبيها ، كان من المفروض أن تعيش في حالة قلق لهروبها و تواجدتها في بيت رجل غريب ، هذا الأخير هو رباح الراعي منبع السعادة لها وهي في بيت أهلها من خلال الأنغام التي كان يرسلها رباح " وكانت تحلق بها الأنغام في سدم عليا لا أفاق لها و لا حدود ...² وهي الآن في هذا المكان " وهذه الموسيقى ليست موسيقى حلم و لكنها واقع محسوس صاحبها لا يبعد عن المكان الذي تضطجع فيه³ لكن هذه السعادة تنتهي عندما يطلع ابن القاضي عن مكان ابنته عن طريق أحد الحاقدين عليه.

1-6 المقبرة

هي أهم مكان يحوي الماضي ، و الزيارات المتوالية لها تعكس مدى انجذاب الفرد لهذا الماضي و تمسكه به " فزيارة القبور تقليد قديم بدأ قبل الأديان السماوية، واستمر إلى الآن⁴ فهو المتنفس الوحيد لكل من يزوره ، رغم أنه يحمل في طياته كل الآلام و الأحزان ؛ مثل العجوز رحمة التي كانت تقوم بزيارة زوجها المتوفى و لا ترتاح إلا بعد أن تسرد له كل أخبارها و أخبار أهل القرية ، كذلك "خيرة" أم نفيسة لا تجد راحتها إلا بعد أن تحدث أمها عن وفائها وإخلاصها لذاكرها مقارنة ذلك بما تحسه نفيسة اتجاهها . فخيرة "كانت ترى الأشياء و الحياة من خلال زاوية نظر أمها... تحب من تحب هذه ، وتكره من تكره و تفرح لفرحها ، وتبكي لبكائها⁵ على عكس نفيسة فهي لا تأبه لما تحسه أمها، ولا تفكر حتى في مشاركتها لحظة الوقوف على قبر أمها . وهذا نوع من التفكك الأسري

1 ربيع الجنوب ، ص 253 .

2 ربيع الجنوب ، ص 14

3 ربيع الجنوب ، ص 253

4 محمد جبريل، مصر المكان، دراسة في القصة و الرواية 2، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 249

5 ربيع الجنوب ، ص 249

؛سببه عدم مشاركة الابن هموم الوالدين ،وانشغاله باهتماماته كشخصية مستقلة تماما ،وهو أمر عادي تطلبه النفس البشرية عند ما تصل إلى مرحلة معينة من العمر ، وهذا ما لا يستطيع أن يفهمه الأولياء فينظرون إلى أبناءهم نظرة الممتلك لأشياءه المنكر لفضلهم ،وقد علل الكاتب انشغال نفيسة عن أمها بما رآته في المقبرة التي تعد مكانا مقدسا ، لكن " الموتى وان أخذوا من القرية أجمل مكان فهم لم يستطيعوا فرض احترام مقرهم الأبدي على الناس ، فعندما وصلت العجوز و نفيسة و أمها إلى المقبرة كانت ثلاث أحمره ترعى فوق القبور ..."¹ فاستكثرت نفيسة من الفعل ووصفته بالجريمة " أنه مجرم الذي ترك أحمرته تدوس الموتى " حيث يدل هذا الفعل على إهمال أهل القرية لأهم شيء يربطهم بالماضي، إن حماية المقبرة واجب على كل سكان القرية بصفتها مكانا مقدسا، و هذا ما تساءلت عنه نفيسة " لماذا لا يقيمون سياجا حول المقبرة ؟ وهكذا تصان من كل شيء "².

لكن سكان القرية يعيشون حالة مزرية من الفقر , لا يستطيعون حتى تأسيس حياتهم فضلا عن المقبرة ،و تذر نفيسة لم يكن من الأحمره ولكن من الإنسان الذي داس ماضيه بأرجل أحمرته .

وعدم مراقبة المقابر ، وكثرة الزوار لها يؤدي بها إلى أن تكون بيئة للمجرمين " المقابر تمثل عنصرا مهما في دنيا الجريمة , لصعوبة السيطرة الأمنية عليها ..."³

والجريمة التي ارتكبت داخل هذه المقبرة هي المساس بكرامة الأموات، ونفيسة كفتاة مثقفة تعي جيدا القيمة الأخلاقية للمقابر فلا يمكنها " أن تستسيغ بان يصير مكان الفناء و الموت مسرحا لعملية البقاء و الاستمرار "⁴.

1 ربيع الجنوب،ص20

2 ربيع الجنوب،ص22

3 مصر المكان،ص249

4 ربيع الجنوب ،ص24

تضم القرية نوعاً آخر من المقابر ألا وهي مقبرة الشهداء ،و التي تعبر عن الماضي أو التاريخ ؛ لأنها مكان مخصص للشهداء فقط ،حيث حاول الكاتب من خلالها ترسيخ تاريخ الجزائر و المتمثل في الثورة ،وتتميز هذه المقبرة عن غيرها بفرض احترامها و هيبتها على الكل ، ذلك ما توصلنا إليه من خلال تنظيم المكان وذلك بتصنيف القبور وجعلها متساوية ، فلا فرق بين قبر الغني و قبر الفقير مثلما نجده في المقابر العادية .

فالتجول في مقبرة الشهداء يجعلنا نحس بالعظمة، و ذلك ما أحس به مالك ،وهو "يتجول بين صفوف القبور التي زادت اللوحات المنصوبة عليها نوعاً من التساوي تثير الخشوع"¹ لقد أستطاع هذا المكان فرض الاحترام على كل من يدخله ؛بفعل التنظيم الذي يميزه و رمزه إلى التاريخ يعني الكثير بالنسبة لمالك ،لأنه يذكره بماضيه وما في بلده فمقبرة الشهداء هي رمز ثوري و مكان للاعتراف بجميل من منحى بحياته من أجل الاستقلال .

2-الأمكنة المفتوحة

2-1- المقهى

شكل المقهى في هذه القرية مكاناً لتجمع سكان القرية ،فهو بمثابة حلقة وصل بينهم ، فيه يتناقل الناس مختلف الأخبار فهو " المكان الذي تلتقي فيه مختلف طبقات الشعب ، و مختلف الرغبات والأهواء "² فيتساوى هناك الغني مع الفقير ، و الجاهل مع المثقف حيث "يستوعب الجميع ويحتوي الجميع دون شرط مسبق،ودون مواعيد مسبقة "³ .

كما أنه المكان الذي تتناقش فيه مختلف المواضيع السياسية والثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية بكل حرية ، أنه عالم غني ومفتوح حتى ولو تموقع في مكان مغلق كالقرى و المداشر، فالمقهى " مسرح الحياة الشعبية، وهو مكان اللعب ، لعب الأفكار ، ولعب الأصابع و الورق و الحجارة و اللغو و التأمل ،والتفريج عن النفس ، التي ضاقت بالحاضر

1 ربيع الجنوب ،ص55

2 ربيع الجنوب،ص148

3 جماليات المكان في الرواية العربية،ص195

و همومه ، وأغلاله الاجتماعية و السياسية والفكرية ¹ لقد عكست المقهى في رواية ربيع الجنوب اهتمامات روادها و حالاتهم الاجتماعية و نسق الحياة التي يؤدونها نجد المقهى يمتلأ بالرواد من النهار إلى الليل لأنهم لا يعملون ، و المقهى في الحقيقة ما هو إلا "نموذج مصغر لعالمنا الذي يضج بكل ما تحتويه دنيانا" " وهذا ما نلمسه في هذه الرواية التي تشكل فيها المقهى مكانا يروح فيه أهل القرية من الضيق الذي يحاصره ، وكل قادم إلى المقهى هو إنسان هارب من شيء يطارده معنويا كان أم ماديا .

فهو في جلوسه في المقهى، يحتمي بالحياة الأليفة التي يقدمها له في المقهى حيث لا تحاصره الأسئلة كما تحاصره في كل مكان يذهب إليه " .

و المقهى في هذه الرواية هو مكان للثرثرة و تتبع أخبار الناس ،وهو وجهة العاطلين عن العمل ،على عكس الذين يتمتعون بمستوى فكري ناضج فهم لا يرتادونه كونهم منشغلين طول الوقت ،حيث أنه مكان لا يلاءم الشخصيات التي تحمل رؤية فكرية ناضجة .

في الرواية نجد ثلاث أشخاص فقط لا يدخلون المقهى لتضييع الوقت بل لغاية تخدم مصالحهم الشخصية "مالك لا يدخل المقهى إلا للحصول على المعلومات و أخبار أو تكليف من ينقلها ، و رباح الراعي يدخل المقهى بدافع الفضول لا أكثر فهو يحس ، بان جوه الخانق لا يلاءم طبيعته ، وابن القاضي لا يذهب إلى المقهى إلا بغرض يتصل و مصالحه ²

" و يمكن القول أن ذهاب الشخصيات إلى المقهى له تضييعها للأوقات ،له أسباب ظاهرة كانت أو خفية ، والحقيقة أن الفرد القروي هو الذي اختار مصيره بنفسه عندما كره العمل و قرر تضييع و وقته في المقهى، في حين تكمن ،الوظيفة الحقيقية لهذا الأخير هي أنه " مكان لتصريف فترات الفراغ ، وإمداد الفرد بمزيد من قوة الاحتمال لمواجهة رتابة الحياة

1 جماليات المكان في الرواية العربية،ص197

1ريح الجنوب ، 251

2بنية الشكل الروائي،ص93

اليومية ¹ لكن للأسف فالقرية باعتبارها بيئة مغلقة حالت دون فهم هذه الرواية ، فكان المقهى أكثر الأمكنة امتلاءً بالأشخاص على اختلاف مستوياتهم و أهدافهم و ولأن سكان القرية يتكبرون عن العمل فقد تحولت من مكان لتجديد الطاقات إلى مكان يصرفون فيه طاقاتهم ووقتهم ، في تجاذب أطراف الحديث ولعب الدومينو ، باعتبار أن مالك كان شيخ البلدية فقد كانت تلزمه بعض الأخبار ، فما كان منه إلا أن يجلس في المقهى .

" لسمع ماجد من جديد في حياة القرية التي يسكن بها أو بالقرى المجاورة إذ بالمقهى تستقى الأنباء عما يجري في القرى النامية " ² .

ولما كان هذا المكان الوحيد مستودع أخبار أهل القرية و الشاهد عليها ، فإن كل من أراد أن يسمع خبراً أو يعلن عنه يذهب إليه تماماً مثلما فعل مالك عندما أراد إشاعة خبر موت العجوز رحمة " أذهب إلى المقهى لأخبر الناس ، لأطلب مساعدة ... ألا أقدر على دفنها وحدي ؟... " ³ . يعتبر دخول المرأة إلى المقهى علامة من علامات تحضر المجتمع ، لكن في هذه القرية يحرم على المرأة دخوله .

لذلك فقد فكرت نفيسة في الذهاب إلى المقهى حتى تقضح أباه " أذهب إلى المقهى القرية فأعلن على رؤوس الملاء أن أبي يمنعني من مواصلة دراستي ، بحكم أن بنت تقصي الدراسة ، وأنه يرغبني على الزواج ممن أراد هو لا لسبب إلا أنه صاحب الحق الأول في حياتي ، كما لو أنني قطعة من أرضه أو بضاعة ... وهكذا إن كان هناك سيعتبرها فضيحة لا يمحوها إلا الدم فيقتلني " ⁴ أرادت نفيسة هنا أن تنتقم من أبيها عندما أراد أن رغما عنها فتشوه سمعته ، وتجعل سيرته على كل لسان فترتاح بذلك منكل العذاب الذي تحسه

2 ربيع الجنوب، ص77

3 بنية الشكل الروائي ، ص162

4 بناء الشكل الروائي ، ص217

وتتخلص من السجن الذي تعيش فيه ، لكن الانتقام ليس هو الحل لمشكلتها ، كذلك المقهى هو مكان رجالي لا تجرؤ على دخوله مهما حصل لها .

2-2 النافذة

تفصل النافذة بين عالمين مختلفين أولهما العالم الداخلي و المتمثل في الغرفة ، و ثانيهما العالم الخارجي وهو القرية ، وكانت النافذة المتنفس الوحيد للبطالة؛ حيث تطلق العنان لخيالها من خلالها ، تسبح في عوالم كثيرة ، وعندما تصلها أنغام الناي تنسى كل ما هو أمامها من مناظر طبيعية وتحاول تخيل صورة لرابح صاحب تلك الأنغام " فتحت نافذة حجرتها المطلة على جزء من البستان ، ومضت تحقق فيما لا نهاية له ، وارتسمت في ذهنها صورة وهي ترى قمم جبال جرجرا في نهاية الأفق ، صورة لا تمثل المدرسة ولا الجزائر و شوارعها الطويلة و لا الفتيان و الفتيات الذين يغدون و يروحون أزواجا أزواجا في العشايا الظليلة، بل صورة راعي الغنم الذي استمعت ذات يوم لألحان نايه العذب ، فتخيلته أميرا سحريا في عالم من العوالم الرؤى و المستغلقات " ¹

ولأنها تصورته أميرا دفع بها الأمر إلى أن تستعين به عندما أرادت بعث الرسالة إلى خالتها بالجزائر ، قد تولدت عندها هذه الأفكار بفعل مطالعاتها للروايات الخيالية ، التي يتم فيها سجن البطلة، ثم يأتي الأمير لإنقاذها ، هذا ما أرادت تطبيقه على أرض الواقع ، ولأن رابح كان الشخص الوحيد الذي يتردد كثيرا إلى بيتهم بحكم عمله عند ابن القاضي ، فان نفيسة فكرت في الاستعانة به ليحمل رسالتها إلى البريد ، و النافذة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من الاتصال برابح و " فتحت النافذة الخارجية وانتظرت مروره ... و إذا اقترب من الدار أدهشه أن يرى النافذة مفتوحة و نفيسة أمامها ! وتعجب أن لم تختفي إذ رآته ! وإنها تشير إلى أن يقترب ! لم يكذب صدق نظره! إنها تشير إليه بالاقتراب لا شك في ذلك" ²

1 ربيع الجنوب، ص 87

2 ربيع الجنوب، ص 93

لقد مثلت النافذة لنفيسة النور الذي يبعث الأمل في نفسها ،فيدفعها ذلك إلى نسيان العالم الداخلي الذي تعيشه و استقبال العالم الخارجي الذي يمثل لها المستقبل، و فتحها للنافذة باستمرار يوحي بمحاولات فاشلة تقوم بها نفيسة للانفلات والهروب من المكان الذي يحاصرها ، و تطل البطلة على تلك المناظر الخلابة التي تمثل لها الأمل والحلم ،ويبدو أن النافذة هي المكان الوحيد الذي تجد فيه نفيسة إنسانيتها التي قصت عليها الدار و الغرفة، فكان النظر إلى الأفق من خلال النافذة الطريقة الوحيدة التي تروح بها على نفسها " وامتد نظرها إلى أقصى نقطة تسمح نافذة غرفتها بوصول النظر إليها ، فكانت النقطة عبارة عن جزء من أفق صغير محدب الاستدارة، وكانت عيناها وهما تنظران إلى المكان تحاولان متابعة اعوجاجه جيئة و ذهابا كما لو أنها تود كتابة خط يوازي احدوداب الأفق ،و قالت في نفسها : كل شيء هنا معوج حتى الأفق ..."¹ إن هبوط معنويات نفيسة و صعوبة الحياة التي تعيشها جعلتها تنظر إلى المكان بتشاؤم ،فلو كانت نفسيتها جيدة لما انتهت إلى هذا الاعوجاج ،ولرأته بأجمل عين .

2-3 الطريق

تعتبر الطريق أهم وسيلة للانفتاح على الأمكنة الأخرى ؛ فهي بمثابة همزة وصل بين المكان الذي نتواجد فيه ،و المكان الذي نرغب في الذهاب إليه .

تعددت الطرق في الرواية ، من أهمها ذلك الطريق الذي اتخذته نفيسة للهروب من القرية إلى المدينة و التي جاءت تبعا لبنية الأرض، فكان الطريق الذي هربت منه نفيسة كان وسط الغابة ، حيث جهز الكاتب المكان ليكون عائقا أمام نفيسة " و الأرض التي تمر بها الطريق تكثر فيه الانخفاضات و الارتفاعات و الشعاب مما يمدد طول المسافة وإضافة إلى صعوبة المكان فقد تحالفت الطبيعة مع هذا الأخير ضد نفيسة ، حيث كان الحر شديدا مما زاد من صعوبة المهمة و " اخذ الجو يجفف حلقها و يزيد الطريق مشقة مكملة لمشقة السير"²

1 ربيع الجنوب،ص87

2 ربيع الجنوب،ص201

نفيسة عندما قررت الهرب لم تفكرا بدا فيما قد يواجهها في الطريق ؛لان هدفها واحد وهو الوصول إلى المحطة ، و الانطلاق إلى العاصمة ،فحدث أن وقف الطريق ببنيته كمانع لهذا التغيير ، ورغم ذلك" مضت في طريقها بين لسعات الشوك ولفحات الحر ، ولولا إرادتها القوية في الوصول إلى المحطة مهما كان الحال لأقعدتها العياء عن مواصلة السير"¹ إن

لتغير الذي أراده الكاتب اكبر بكثير من العياء الذي تحس به نفيسة؛ لذلك نجده حملها أكثر مما تتحمله كأمراة.

لقد رمز و أشار الكاتب في هذه الرواية إلى المشاكل والعادات و التقاليد البالية التي تقف كحائل أمام المرأة ،بلسعات الشوك و لفحات الحر فبرغم من كلما بذلته المرأة لتحسين وضعها إلا أنها مازالت على ماهي عليه " كانت قد قطعت مسافة تبلغ حوالي ستة كيلو مترات منذ خروجها ، بينما خيل إليها أنها مشت أكثر من عشرين كيلومترا"² لقد أحست نفيسة بأنها قطعت مسافة كبيرة نظرا لوحشية المكان و صعوبته ، بل وخطورته أيضا، حيث يتواجد على بعض الحيوانات الخطيرة كالشعابين ،حيث تعرضت نفيسة للسعة احد، وهذا تعبير من الكاتب يخبرنا من خلاله عن فشل مشروع التغيير حيث يجب التخطيط و بشكل محكم من اجل مشروع كهذا .

إن ذهاب نفيسة في طريق خاطئ ؛يوحي بان المجتمع بحاجة إلى من يوعيه و يأخذ بيده كما اخذ رابح بيد نفيسة ، والتعب الذي نال من هذه الأخيرة؛ هو تعبير عن التعب الذي عانى منه المجتمع الجزائري عامة و المرأة خاصة ،رغم أن نفيسة جمعت كل المعلومات التي احتاجتها للهرب إلا أنها وقعت في مشكلة لم تتوقعها بالاضافة إلى ضلالها الطريق "

1 نفسه،ص241

2 ربيع الجنوب،ص241

إذن ضللت الطريق"¹ فمشروع التغيير هذا لن ينجح إلا إذا تعاون الجميع واشتركوا في تحديد مصيرهم.

لقد سقطت العجوز رحمة بسبب الطريق الذي تكثر فيه الانعراجات و الانحدارات ،سقطت لما " وصلت إلى نقطة أخذت الطريق فيها تتحدر ، وأحست باشتداد ثقل التراب على ظهرها "². نستنتج هنا أن معظم طرق القرية إن لم نقل كلها تتسم بالصعوبة و لا تصلح إلا للمشاة من أهل القرية و دوابهم ، وتعتبر هذه إشارة من الكاتب يلفت بها العيون إلى القرى ، و الفرد القروي على وجه الخصوص لتحسين مستواه المعيشي ، محاولا بذلك نقل معاناة القرى إلى السلطات، على لسان المعلم الطاهر المتمثلة في البلدية لو " ... فكرت في تعبيد طرق هذه القرية و القرى التابعة لها ... لما بقي فقر و جهل "³ باعتبار الطريق من أفضل الوسائل التي تساهم في التغيير؛ فهو الرابطة التي تربط الشعوب ببعضها، و تساعد على تبادل الثقافات والمنتجات؛ و هكذا يتحقق الانفتاح على الآخر من خلال الطريق التي تساهم في انفتاح الأماكن المغلقة على العالم الواسع.

لكن عزوف أهل القرية عن العمل كان سببا في فشل كل محاولة للتغيير، وقتل كل أمل موجود فيها ، فرغم قرب هذه القرية من القرية المركزية، و التي تتميز عن غيرها من القرى بأنها "معبر للطريق الوطني الرئيسي الذي يربط بين الجزائر و قسنطينة و لطريق السكة الحديدية ، و من هنا كانت لها هذه الأهمية بالنسبة للقرى الأخرى و اعتبرت مركزية"⁴ فائدة من موقعها الجغرافي لأنها لم تستغله في أي شيء ، كعرضها لمنتجاتها التقليدية و اليدوية على حافة الطريق مثلا.

من هنا نستشف أهمية الطريق بالنسبة للقرية لأنه يعتبر جزءا " من النسيج العام للأمكنة"⁵

1 ربيع الجنوب،ص247

2 ربيع الجنوب ص 118 .

3 ربيع الجنوب،ص 80 .

4 ربيع الجنوب ،ص67

5 ربيع الجنوب،ص20

وأسهل طريق في القرية هو ذاك الموصل إلى المقبرة حيث يمكن المشي فيه دون عناء لأنه يخلو من الانعراجات و الصعود و الهبوط ، و سهولة هذا الطريق دون غيره من الطرق هو دليل على حب أهل القرية لهذا الماضي، و ارتباطهم به رغبة منهم في نسيان وقعهم المؤلم و تخوفهم المستمر من المستقبل.

2-4 الجزائر العاصمة

تمثل الجزائر الحرة التي يحلم بهاو سكان أهل القرية ، كما تعبر عن الأمل الذي يملأ نفوسهم باعتبارها قبلة القاصدين و مطمح النازحين ، ومستودع الآمال و الأحلام ،ونفيسة واحدة من الذين يحلمون بالعيش في مدينة الجزائر لأنها كانت تحس بالغبية في القرية " ...لو قضيت العطلة في الجزائر لاستطعت أن ألقاه " ¹ .

نجد أن نفيسة رغبت في قضاء العطلة في الجزائر حتى تلتقي بشاب هناك ، إذن فتعلق نفيسة بالمدينة كان نتيجة إحساسها بالراحة و الاستقرار النفسي و العاطفي فيها ، على عكس القرية التي تسبب لها الخناق ، و لان نفيسة تدرك قيمة و جمال المدينة فإنها تتلمس العذر لامها لأنها لا تعرف الجزائر " مسكينة أمي ، لو عرفت الجزائر لبكت لرجوعي " ² لقد انبهرت نفيسة بالجزائر لدرجة جعلتها تتعلم كل ما يعبر عن ثقافة هذه المدينة ، و أصالته كتعلمها لشؤون المنزلية ، و غرض نظرها عن كل ما يتعلق بالشؤون المنزلية المتعلقة بالقرية ، تعبيرا منها عن الاحتقار الذي تكنه لهذه الأخيرة ، ودليل هذا ما قالته للعجوز رحمة " لا أحسن إعداد الأطعمة التي تصنع بالبادية يا خالة، أما غيرها فأحسن كل

1 ربيع الجنوب، ص10
2 ربيع الجنوب ، ص 10

شيء ¹ كل هذا ما هو إلا تعبير عن رغبة نفيسة في الانفصال عن المكان الذي تعيش فيه ، و استبداله بالمدينة حتى إن المقارنة بينها بين القرية أمر غير منطقي من وجهة نظرها فهي لم " تجد أي نقطة للمقارنة بين الحياة الساذجة البسيطة التي يحياها أهلها و كل سكان البادية ، وبين الحياة الحضرية المعقدة التي عاشت منها قليلا لدى خالتها ² و تعتبر الجزائر المكان النموذجي الذي يحلم كل إنسان بالعيش فيها و لاسيما نفيسة التي استطاعت أن تحس بإنسانيتها و أنوثتها بشكل خاص على عكس القرية التي تمثل اللامكان "الجزائر آه ن ما أمر حياتي هنا ... هناك الفتاة تبحث دائما عن احدث طريقة لإبداء ما قد يخفى فيها من جمال ، وهنا نبحت دائما عن احدث طريقة لإخفاء الجمال و القبح معا ، هناك نخرج كل يوم ، و في اليوم عدة مرات ، وهنا نخرج طوال حياتنا كلها ثلاث مرات ... في الجزائر أفكر في كل شيء ماعدا في نفسي ، وإذا فكرت فيها فمن حيث اتصالها بالآخرين ، وهنا لا أفكر إلا في نفسي ، و إذا فكرت في الآخرين فلا اتصال ذلك بشيء يخصني ... ³.

وهنا نجد نفيسة تتحدث عن ثلاثة أشياء جعلتها مقياسا للتفاضل بين المدينة و القرية وهي أولا : التحرر من قيود التقاليد التي تفرض على المرأة إخفاء جمالها، ثانيا الخروج و التجوال في الشوارع دون رقيب، ثالثا: مشاركة المجتمع و إبداء الرأي .

لقد نظرت نفيسة إلى المدينة في شكلها السطحي ، أي أنها مكان منفتح يستطيع فيه الفرد العيش بكل حرية و بالشكل الذي يريده متناسية جانبها السلبي فنظرتها " نظرة قاصرة تتعامل مع المدينة تعاملًا خارجيًا فلا ترى فيها إلا كل حسن و جميل ،بينما الواقع يقول غير ذلك، فعلاقات المدينة هي علاقات أكثر فضاة و استغلالا من تلك التي تحكم الريف ، وتتطلب وضعًا أكثر نضجا للتعامل معها ⁴ سبب عدم تفكير نفيسة في الجانب السلبي للمدينة هو عدم تعرضها لأية مشاكل عندما كانت في المدينة ، بالإضافة إلى حالة الاستقرار التي

1 ربيع الجنوب، ص32

2 ربيع الجنوب، ص33

3 ربيع الجنوب ، ص216

4 محمد تحريشي ، أدوات النص ، إتحاد الكتاب العرب ، 2000 ، ص 18

أحست بها و هي في بيت خالتها لما وجدت فيه من الألفة أكثر من دار أبيها ، رغم أن ابن هذوقة لم يتحدث في سياق السرد عن ظروف معيشة نفيسة وهي في بيت خالتها .

إن حديث نفيسة هو دعوة من الكاتب إلى شن ثورة ثقافية تقضي بإعادة النظر في العادات و التقاليد البالية ، وكذا محاولة التعايش و اللحاق بالركب الحضاري ، عوض الخمول الذي افترس أهل القرية ، وهو بالضبط ما دعا إليه القانون المتعلق بخدمة الأرض و القضاء على النظام الإقطاعي ، فمن خلال العمل يثبت الإنسان ذاته و يحقق هدفه في التحرر و التطور لم تحرك نفيسة ساكنا أمام المصير الذي فرضه والدها عليها " أبوها يقرر منعها من العودة إلى الجزائر ، من مواصلة الدراسة يقرر تزويجها، يختار هو من تتزوج به " ¹.

بالرغم ما تتمتع به نفيسة من ثقافة ، إلا أنها لم تستطع مواجهة سلطة أبيها الجائرة ، فأرسلت له كلماتها بدل أن تواجهه بها .

"قولي له لن أتزوج و لن انقطع عن دراستي ، سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال" ² وكنتييجة لما سبق اختارت نفيسة افضل الطرق للتحرر من المكان وهو الهروب ، فالموقف الذي وقعت فيه جعلها تحس أكثر بوطأة المكان، وكذا الفرق بين حياتها في المدينة و حياتها في القرية "الجزائر كان المستقبل وحده الذي يهمني ،أما هنا فأين هو المستقبل؟" ².

إن تعلق نفيسة الشديد بالمدينة جعلها تفكر في حل الهروب الذي يعتبر سلوكا جبانا ،إلا انه جرأة خصوصا إذا صدر من امرأة و في مكان مغلق مثل هذه القرية ،اعتقادا منها انه الحل المناسب و المخرج لها من ذلك المأزق ضنا منها أن المدينة توفر لها العدالة ، و تشعرها بالأمان و الطمأنينة التي تحتاجها ،لم تكن نفيسة وحدها التي فكرت في الانفلات من قيود المكان الريفي ، بل فكر في ذلك الكثير من شباب القرية من بينهم رابع راعي الغنم ، حيث كان هذا الأخير واحدا من بين الكثيرين الذين طمحووا في الذهاب إلى الجزائر بغية العمل، لكن اقتناع رابع بهذه الفكرة جاء بعد أن شتمته نفيسة ،وأحس منها بالاهانة هروبا من الألم النفسي الذي يحسه؛ حيث قرر الابتعاد و هجر القرية بعد أن عرف

1 ربيع الجنوب،ص87

2 ربيع الجنوب ، ص 216

أنها سبب قذارته و رفض نفيسة له ، فالكاتب هنا جعل الشخصيات تكتشف نفسها وواقعها ، و من ثم يترك لها الخيار في تقرير مصيرها بنفسها ، فاختار رابع العاصمة بديلا عن القرية ، لكن صانع القفف واجهه بواقع ذلك البديل قائلا: " العمل الوحيد الذي تجده بالجزائر هو ذلك الذي تركته يا بني ، لو فكرت لبقيت في مكانك حتى تتيسر الأمور "¹ فالعمل في المدينة يكون تبعا لثقافة و مستوى العامل، مما يدل على أنها متطورة، لذلك يصعب على رابع إيجاد العمل فيها .

2-5 الشارع

يستمد الشارع أهميته من المكان المتواجد فيه، و ترتبط لفظة الشارع بالمدينة لأنه " اتفق على أن كافة الطرق داخل المدينة تسمى شوارع"² نجد أن الكاتب انتقى كلماته بعناية فائقة ، و استعملها في أمكنتها المناسبة ، و قد ورد الشارع في هذه الرواية في مخيلة نفيسة حينما تذكرت الجزائر " الجزائر، الشوارع الطويلة "³ إذن لم تكن حاضرة في الرواية إلا عبر مخيلة نفيسة ، فكانت أهم ما تتذكره من المدينة ؛ لأنها أثارت في نفسها الراحة و الطمأنينة ، رغم أن معظم الأدباء يتحدثون عن فوضى و ازدحام شوارع المدن بشيء من التأفف؛ فينقلون إحساسهم هذا إلى القارئ ، على عكس هذه الرواية التي احدث فيها الكاتب مفارقة جعلت القارئ يحس من خلالها بالارتياح ، فكثيرا ما يتلون إحساس القارئ بإحساس البطل ، فينزعج لانزعاجه ، ويرتاح لارتياحه.

لقد تحدث الكاتب عن هذه الشوارع بحب على لسان البطلة نفيسة ، رغم ما يتميز به الشارع من فوضى ، فهدوء المكان الذي تعيش فيه نفيسة كاد يميم الأشياء ؛ لذا فقد مثلت لها

1 ربيع الجنوب، ص117

2 جماليات المكان في الرواية العربية ، ص 60 .

3 ربيع الجنوب، ص216

شوارع الجزائر الحياة النابضة ، كما كانت لها بمثابة المكان الحيني الذي يذكرها بفترة جميلة قضتها في العاصمة.

2-6 البحر

يعبر البحر عن مدى اتساع العالم و رحابته، فهو أفضل مكان يستطيع الإنسان أن يخوض فيه دون حواجز ، و لقد مر البحر في الرواية عبر ذاكرة نفيسة ،حيث كانت تفكر فيه دائما فا" البحر مرآة السماء ترى الشمس فيه وجهها ، و بالليل تصير المرآة حوضا للسباحة تستحم به عذارى النجوم ، و الاستحمام ذريعة للقاء القمر ... البحر أيضا شوق دائم إلى السفر ، البحر أيضا حلم لمن يبحث عن حلم، و البحر بعد ذلك مستودع الحيوانات التي خلقت و مجها أصحابها" ¹

إن المعاناة التي تعيشها نفيسة، جعلتها تتذكر البحر بصفته يؤمن الراحة النفسية ؛ و لان معاناتها كانت بسبب المكان الضيق ، فقد رحلت بتفكيرها إلى أوسع مكان عرفته وهو البحر رمز الحرية، ورمز الاتساع و الجمال الذي نفر إليه لنفرغ فيه كل ألما و أحزاننا ، فهو عالم الطهارة و الرومانسية ، يلجا إليه المحبون ليكون شاهدا عليهم.

2-7 فرنسا

لقد مثلت فرنسا سابقا العدو، لكنها تحولت بعد الاستقلال إلى أمل يتعلق به كل شاب تمسه المعاناة، ما يعكس التبعية إلى الغرب سيما في جانبها الاقتصادي، بسبب الحاجة إلى العمل ، وكان مقولة" فرنسا أم الجزائر " تتحقق ، فهاهم الأولاد يلحقون بأهمهم . فرنسا . هذا ما عبر عنه الكاتب من خلال قول الرعي راجح" آلاف الجزائريين يعملون في فرنسا... من قريتنا فقط ذهب أكثر من مائة شخص" ².

لم تكن نفيسة وحدها التي تشعر بالضيق في قريتها ، بل غيرها الكثير من شباب القرية يحسون نفس إحساسها ، فراح الجميع يبحث في مخيلته عن المكان الواسع كبديل للقرية ، فكانت فرنسا هي الأمل المنشود ، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه لان الهجرة

1 نفسه

2 ربيع الجنوب، ص116

إليها صعبة المنال ، وهو ما عبر عنه الكاتب على لسان إحدى شخصيات الرواية " فرنسا ... أو تضمن أن العمل في فرنسا سهل؟ ، لو رأيت أنا ذلك ممكنا لما بقيت هكذا كل يوم مع شوك الحلفاء... إن القوانين تغيرت، كانوا في الماضي يكرهونها، أما بعد الاستقلال فصاروا يودون لنا الفناء، فرنسا لم يعد لنا فيها مجال للعمل"¹.

إن رغبة شباب القرية في تحسين واقعهم و التغيير إلى الأحسن ما هو إلا انعكاس لرغبة الكاتب نفسه، لكن ذلك ليس بالأمر الهين؛ إذ يقف أكثر من حاجز أمام هذا التغيير، فالأمل في نفس كل شخص اكبر من تفكيره و قدرته على التغيير و الأمل.

لقد أثار المكان جدلاً واسعاً بين الدارسين ، لأنه مكون معقد و متنوع ، وحتى نصل إلى حقيقته إرتأيت ربطه بالمكونات السردية الأخرى ، و دراسة علاقته بها باعتبار أن الحدث و الشخصية والزمن من أكثر الأشياء إبرازاً للمكان ، فعندما ندرج هذا الأخير ضمن هذه العلاقات يصبح أكثر وضوحاً و جلاء حيث " يرتبط بزمن القصة ، و بالحدث الروائي ، و بالشخصيات التخيلية : فالمكان لا يشكل إلا باختراق الأبطال له ، و ليس هناك أي مكان محدد مسبقاً وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال " ¹ صحيح انه لا قيمة للمكان إلا بوجود الأشخاص و الأحداث و عامل الزمن، لكن هذا لا يعني انه لا يشكل إلا باختراق البطل له دائماً، فالله عندما أنشا الوجود بدا بخلق الأرض كمكان يحتوي الكائنات الحية أولاً، ثم خلق باقي المخلوقات.

و يتصف المكان بقيمة كبيرة لأنه يساهم في تشكيل ملامح الشخصية ؛ حيث يكشف عن واقعها و تاريخها و مستواها المعيشي ، أما علاقة المكان بالزمن فتعد من أهم العلاقات إذ لاوجود للزمن إلا بوجود المكان فكلاهما مكمل للآخر ، أما الحدث فهو الذي يرسم ملامح المكان و أحيانا يغير من طبيعته و شكله ، فتأتي علاقة المكان بكل هذه العناصر متشابكة مرتبطة فيما بينها ، وتكاد لا تنهض أي علاقة إلا بوجود كل تلك العناصر في آن واحد" إن أهمية معرفة المكان و مغزاه يعد متكاملاً في استقراء قيمة أحداث النص من بعدين :بعد فني، وبعد حياتي فأما الفني: فباعتبار المكان احد عناصر السرد المهمة في النثر الأدبي مثله مثل الحدث ، اللغة والشخصيات ، و الزمان.وأما الحياتي : فيكمن في الذاكرة الاجتماعية لشعبنا تلك التي عانت الكثير من فقدان المكان حتى غدا الاشتياق إلى المكان الضائع ملمحاً من ملامح شخصيتنا²

1 محمد عزام : تحليل الخطاب الروائي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دمشق، منشورات اتحاد كتاب العرب ، 2003، ص197.
2 غلاب جمال : مقاربات في جماليات النص الجزائري ، ط1 ، الجزائر منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، دار هومة، 2002، ج1 ص14.

فالروائي المبدع هو الذي يجعلنا نبحر في عالم الرواية ، فننتبع حركة شخصياتها و هي تنتقل من حدث إلى حدث عبر أمكنة و أزمنة مختلفة إذن فدخل المكان ضمن عناصر الرواية وتفاعله معها و قراءته ضمن هذه العلاقات لضرورة ملحة لفهمه، ومن ثمة فهم النص الروائي.

1-علاقة المكان بالأحداث

يعتبر الحدث عصب الرواية، لكن قيامه مرتبط بوجود المكان مما يعكس أهمية هذا الأخير بالنسبة للحدث لان " المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية " ¹ لكن التساؤل المطروح هنا: هل يمكن للأحداث أن تغير طبيعة المكان ؟ و للإجابة عن هذا السؤال يجب علينا أن نفهم ، و نستنبط من الرواية أهداف الكاتب التي نسج من أجلها خيوط روايته لان " الحدث هو البؤرة التي تتكاثف حولها كل الأبعاد المعبر عنها داخل البناء " ² ويمكننا الحدث من الانتقال من مكان إلى آخر عبر الشخصيات ، وحتى ينمو الحدث الرئيسي في الرواية بشكل سليم لجا الكاتب إلى دعمه بأحداث ثانوية أخرى تخدمه ل"إظهار الحقائق في أحجامها الفعلية " ³ مع اختيار المكان المناسب لوقوعها ، وبهذا نضمن توافق بنية المكان مع الحدث القائم فوقها. و يتمخض الحدث من البيئة ، فيخضع لمعطياتها ، و يتفاعل مع متغيراتها " فهناك الحدث المتمسم بالتقاولية ، وآخر بالتساؤمية ،كما نجد ثالثا يمتاز بالأحادية في الطرح ،ورابعا تسيطر عليه نكهة التعقد و التداخل ، في نفس الوقت الذي نجد فيه نوعا من الأحداث يرفل في أثواب من الهدوء و الاستقرار ، و آخر يغرق في بحر المأساة والغبن " ⁴.

1 سيزا درزا، بناء الرواية العربية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص76.

2 بشير بو يجرة محمد: بنية الخطاب الروائي الجزائري، 1970/1986، جماليات و إشكاليات الإبداع، ط1، دار المغرب للنشر و التوزيع، 2001/2002 ج 2 ، ص 120.

3 عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، ط1، تونس، دار محمد علي للنشر و التوزيع، 2003، ص122.

4 بنية الخطاب الروائي الجزائري، ص122.

إذن فالحدث يتخذ لونه من المكان الذي وقع فيه، حيث يتحكم هذا الأخير في أحيان كثيرة في الحدث و يقف في وجهه ، ويمنع الشخصية من التقدم لتحقيق هدفها ، وهذا ما لمسناه خلال تجوالنا في فصول رواية ريح الجنوب ؛حيث وقف المكان مواجهها ومتحديا الحدث.

" فالمكان في الرواية إنما يكون بحسب ملائمته للحدث القابل ، فهو لذلك مكان ناطق"¹

فنفيسة لم تتمكن من الهروب أو الذهاب إلى الجزائر بتأثير من المكان الذي جهزه الكاتب حتى يمنعها من التقدم في خطتها .

تدور أحداث هذه " الرواية في إحدى القرى في منتصف الستينيات على وجه التقريب " ² و هذه القرية هي في الواقع مسقط رأس الكاتب ، حيث اكتشفنا ذلك من خلال تتبعنا لبعض المؤشرات المكانية التي أدلى بها في الرواية ، فتمكنا من معرفة المكان الذي وقعت فيه أحداث الرواية حيث جرت " في قرية تقع في منطقة من الشرق الجزائري على بعد ساعة أو ساعتين من محطة مزينة ، وعلى بعد 15 كيلومتر من القرية المركزية الواقعة على الطريق الوطني الرابط بين قسنطينة والجزائر العاصمة " ³.

إذن تنطلق أحداث هذه الرواية بعودة نفيسة من الجزائر لقضاء عطلتها في القرية ، وصادف ذلك كثرة الكلام عن تأميم الأراضي ،و تطبيق قانون الإصلاح الزراعي ، هذا الأخير جعل الإقطاعي ابن القاضي صاحب اكبر الأراضي الشاسعة يفكر في حيلة ينقذ بها أرضه ، فتوصل إلى فكرة التقرب إلى مالك شيخ البلدية ، فمثلا عندما توفيت العجوز رحمة وقف موقف الرجل المسؤول و الكريم ، حيث أقام الغدوة في بيته لغاية في نفس يعقوب ، لكن شيخ البلدية كان على دراية بنوايا ابن القاضي فحاول الابتعاد عنه قدر المستطاع لأنه وإضافة إلى نواياه الخبيثة تسبب في حوادث بشعة في الماضي على أرض هذه القرية مثل : حادثة القطار ، ورغم تقلد مالك لمنصب شيخ البلدية إلا انه كان يحس بالعجز و النقمة اتجاه نفسه لأنه فشل في خدمة هذا المكان.

1 جينيت و آخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، المغرب إفريقيا الشرق، 2002، ص81

2 سبيتانوف، عبد الحميد بن هدوقة: الكاتب الكلاسيكي الحي، مجلة التبيين، العدد8، الجزائر ثقافية إبداعية نصر عن الجاحضية، 1994، ص44.

3 بلعربي جمال، تحليل الخطاب السردى لروايتي "ريح الجنوب" و " غدا يوم جديد" للكاتب عبد الحميد بن هدوقة، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص75.

" أنا....نعم ، شيخ البلدية يدشن المقابر بدل المعامل هذا أنا هو الحقيقي " ¹

إن هذا الإحساس لهو دليل سلطة المكان ووعورة المنطقة ، يبدأ ابن القاضي في تنفيذ فكرته ، فيعلن عن قرار زواج نفيسة من مالك ، فترفض نفيسة هذا الزواج و تبدأ هي الأخرى في التخطيط ، بغية إنقاذ نفسها من هذا المصير ، فكان أول ما قامت به مواجهة أمها برفضها لقرار أبيها ، لكن الوالدة لا حول لها ولا قوة أمام جبروت الزوج فهي لاستطيع تغيير رأي زوجها ، وهذه هي أولى بوادر فشل التغيير في الرواية .

لقد أدت هذه الحادثة إلى اصطباغ المكان عند نفيسة بمشاعر الحزن و الضيق فتهتدي أمام هذا المصير المحتوم إلى طلب النجدة من خالتها ، يقوم الكاتب بالتنفيس نوعا ما عن الشخصية بهذه الفكرة، فاستعانت برابح راعي الغنم ليوصل لها رسالتها إلى البريد ،وتفتح النافذة و كأنها تفتح مصيرا آخر ، تضحك لرابح دون أن تعي انه رجل قروي لا يحسن فهم و تميز لغة التماور بين المرأة و الرجل و تطلب منه إيصال رسالتها إلى البريد ، فيلبي رابح طلبها و يفتح هذا الأخير لنفسه أبوابا للاماني ، وفي المقابل تحس نفيسة بعد ذلك بأن "يد اليأس التي كانت تخنق روحها بعنف منذ حين ، أخذت أصابعها تنفرج وتلين ، حتى الأفق اخذ يتسع أمامها و بدأت تعود إليه زرقته " ² لقد أزاح هذا الحدث الضيق النفسي و المكاني الذي كانت تحس به نفيسة وان كان مصير الرسالة التي بعثت بها إلى خالتها مجهولا ، إلا أنها غيرت مسار حياة رابح ، و جعلته يفيق من سباته الذي كان فيه حيث لبي رابح نداء نفيسة بغرائزه وليس بشهامته كما يفعل فيما بعد " فهم رجاءها إياه إن يذهب برسالتها إلى البريد فهما ضالا ، حرارة الغريزة الجنسية الطاغية ، فتحت في تصوره نافذة الممتع من الخيالات و اللذيق من الأحلام " ³

1ريح الجنوب،ص63

2 ريح الجنوب،ص94

3 ريح الجنوب،ص99

و"تفكيره الريفى صور له أن الرسالة لم تكن إلا ذريعة منها لتغريه بها " ¹ وقرر تلبية نداءها والعودة إليها في نفس الليلة ، لكن يقف المكان متحديا له ويمنعه من تنفيذ مسعاه " وصل رابح إلى النافذة الخارجية لغرفة نفيسة فوجدها مغلقة و حاول أن يفتحها فلم يستطع ، كانت مشدودة بذراع حديدية من الداخل ، فغضب وأحس أن مهمته بدأت تتعقد ² لكن رغم تحدي المكان لرابح إلا انه لم يمنع هذا الأخير من مواصلة تنفيذ خطته " و قرر أن يقتحم السور مهما كلفه ذلك " ³ لقد أدرك خطورة ما أقدم عليه ، حيث انتابته مشاعر الخوف و الاضطراب أثناء اقتحامه البيت " ولما وصل إلى السور لم يجد به ظلا و كان القمر قد توسط السماء ، فلم تبدو مغامرة اقتحامه هينة . ورجع إلى مكان ظليل حيث تلتقي زاوية غرفة نفيسة مع زاوية أخرى . واكتشف أن الدخول من هنا أيسر بكثير من اقتحام السور . فاستجمع كل جراته و تسلق الحائط ، ولما إستوى فوق السطح رأى وسط الدار هادئا عاديا .

لبث هناك لحظات مفكرا في الهبوط . هل يقفز؟ أم يزيل بعض القرميد الواقع على حائط الغرفة ليتمكن من النزول بسهولة ؟ فاختار إزالة القرميد ... و بمجرد أن وقعت رجلاه على الأرض أسرع إلى الباب الخارجي فأزال العمود المسند عليه ليتمكن من الخروج بسرعة إن حدث ما يدعو إلى السرعة . ثم عاد إلى باب غرفة نفيسة الذي كان مغلقا . ولحسن حظه أن الباب لم يكن مغلقا بقفل فحالما دفعه قليلا انفتح . فدخل فاتجه إلى النافذة ففتحها ، فعاد إلى الباب فأغلقه . ثم وقف قليلا يستعيد أنفاسه . لم يشعر في حياته بتعب و إرهاق ابلغ يشعر به الآن " ⁴ لقد صور الكاتب الحدث على أرضية هذا المكان بدقة متناهية ، حيث اتبع كل حركة قام بها رابح حتى خيل لنا أننا نراه ، حتى أنفاسه نكاد نسمعها ، لان دخول رابح لبيت نفيسة لم يكن بشكل تلقائي هذه المرة ، لذلك اختار أحسن السبل حتى لا يفتضح أمره ، و في الأخير نجح في ولوج

1 عمر بن قينه، الريف و الثورة في الرواية الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص31

2 ربح الجنوب، ص106

3 ربح الجنوب، نفسه

4 ربح الجنوب، ص106-107

هذا المكان الذي خاطر بنفسه من اجله ، فلنا أن نتصور ما كان سيحدث لو اكتشف ابن القاضي أمره و ماذا سيكون مصيره يا ترى ؟ .

وقرر الكاتب أن لا يكتشف ابن القاضي اقتحام رابح لبيته، لكنه عاقب هذا الأخير بكلمات لاذعة ومهينة وجهتها إليه نفيسة " اخرج أيها الراعي القذر" كانت سبب صحوته من الواقع المرير الذي كان يعيش فيه، وخرج رابح من المكان هذه المرة بمشاعر أخرى مغايرة أنسته اخذ الحيلة و الحذر " لم يرى شيئاً كانت الأرض سوداء أمامه. كان يسير بدون قصد، وكانت الكلمة المؤلمة تدوي سمعه"¹ .

لم تتساوى حركة الدخول و الخروج عند رابح وكذا مشاعره معها ؛ ففي الأولى أحس بالخوف والاضطراب و الحذر ، أما في الثانية فكان يحس باللاهانة و اللامبالاة . لقد خاب أمله و هو الذي كان يتصور أن نفيسة تستحق التضحية و المغامرة ، وأنها سوف تقدر فيه هذه الجرأة التي يتميز بها أهل البادية ، فعوض أن يلقي التقدير و الاستحسان من نفيسة تلقى الازدراء والتأفف ، لقد كان هذا الحدث سببا في تغير مشاعر رابح حتى نظرتة إلى المكان تغيرت ، إذ أصبحت دار ابن القاضي من أكثر الأمكنة التي يود لها الفناء بعدما كانت تمثل له أجمل مكان " انتقلت من مكانها المستوي الجميل إلى مكان بعيد ،وأحس بنوع من الحقد عليها و على ساكنيها ، و على كل ما فيها و ما حولها . و كان في تلك اللحظة يود لو أن زلزالا عنيفا دكها و محاهها من الدنيا "² .

لقد فكر رابح مباشرة بعد هذا الحدث أن يرحل عن هذا المكان الذي جعله قذرا في أعين الناس ، و قرر التخلص من التبعية الاقتصادية فترك عمله كراع عند ابن القاضي ، واشتغل حطابا؛ لان الكاتب كان يجهز هذه الشخصية لحدث آخر .

1 ريح الجنوب، ص 108

2 ريح الجنوب، ص 109

إن طبيعة هذا المكان التي لم تتعود على التغيير، جعلت أي حركة حدثا يستوجب الاهتمام والنقاش، وموضوعا يستدعي التتبع ومعرفة الأسباب، وهذا ما حدث تماما مع رابح عندما تخلف عن رعي الغنم و دخل المقهى، فأصبح هذا حدثا وأي حدث؟ وهو الذي لم يعرف العطلة قبل ذلك، لاشك أن في الأمر إن.

لا يمكن لأي فرد في هذا الضيق أن يحتفظ بخصوصياته، فحياته ملك للجميع أراد ذلك أم لم يرد، فجميع أهل القرية يعرفون بعضهم البعض بسبب ضيق المكان.

و تقف البنية المكانية هذه المرة في وجه نفيسة ؛ عندما شرعت في تنفيذ فكرتها في الهروب من المكان الذي أرغمها الكاتب على العيش فيه، فباءت كل محاولاتها بالفشل بسبب الطبيعة القاسية التي ميزت المكان والذي جهزه الكاتب عن قصد لإفشال مشروع نفيسة في الهرب، و تشاء الصدف وقوع نفيسة بين يدي رابح ، و هي في قمة ضعفها ، حتى انه تصورها نعجة من نعاجه إلا انه تعامل معها في هذه المرة بكل شهامة حيث أنقذها من موت محقق ، فكتبت لها حياة جديدة بسببه و نكتشف من خلال كل هذه الأحداث أن المكان ساهم في صنع الرجال بكل تلك القسوة و الآلام التي سببها للشخص ، فقد كبر رابح كثيرا في عين نفيسة منذ هذا الحدث ، واكتشفنا نحن جرأة الرجل الريفي وشهامته .

لقد اكتشف ابن القاضي مكان وجود ابنته بسبب طبيعة هذه القرية الضيقة ، فلا شيء يخبا في هذا المكان الضيق الذي تنتقل فيه الأخبار بسرعة البرق، فرغب في اقتحام بيت الراعي بنفس الدرجة التي رغب فيها الراعي اقتحام بيته ، لكن مع اختلاف في نوعية الرغبة ؛فرغبة رابح و دافعه هو تحقيق لذة الرغبة الجنسية ، أما ابن القاضي فكان سعيه لتحقيق لذة الانتقام ، و حتى طريقة الاقتحام اختلفت عندهما ؛فوضع رابح كان أشبه بوضع السارق فاخذ الحدث حيزا واسعا من الورق و الاهتمام والترقب من طرف القارئ لما سيحدث ،أما ابن القاضي فاقتحامه مباشر و علني ، و رغبته كانت أقوى في اقتحام المكان ، لان دافعه كان بهدف الشرف فمكنته بنية المكان هذه المرة من تحقيق غرضه دون أن تقف في وجهه مثلما فعلت من قبل مع رابح و نفيسة " من شدة غضبه لم يحس بتعب من الصعود إلى دار الراعي رغم تقدم سنه وفكر قبل الوصول

أن لا يدق الباب بل يفاجئ من في الدار ، فإذا كانت نفيسة هناك فلن تستطيع الاختفاء " ¹ و يقتحم ابن القاضي البيت عنوة و دون سابق إنذار ، و يجد نفيسة هناك فكان ينوي وهو في ثورته تلك ذبح ابنته و أم الراعي.

لقد تميزت أم رابح بالخفة و النشاط منذ ظهورها في الرواية ، فاستغل الكاتب صفات هذه المرأة في الحدث و فور ما " سدد موسى إلى عنق ابنها قفزت إلى إحدى زوايا القاعة فأخذت فأسا وضربت بها الرجل على رأسه فخر صريعا " ² لقد انتهت الرواية نهاية مأساوية ، أراد الكاتب من خلالها طرح العديد من القضايا السياسية و الاجتماعية الاقتصادية ، و التي تعرفنا فيها على طبيعة الأماكن المعزولة و ما يحدث فيها دون أن يقترح الكاتب أية حلول سوى انه لمح إلى سقوط النظام الإقطاعي والذي رمز له بابن القاضي .

إذن لقد استخدم الكاتب الأحداث كوسيلة لطرح قضاياها بدل أن تكون معالجة لها ، وقد اختار القرية كمكان يقرب به الحقائق التي ظهرت في المجتمع آنذاك ، و حرك فيه مجموعة من الأحداث بطريقة تستثير مشاعرنا و تستقطبها لنسائده في رأيه " لعل ذلك كان سببا في إلباس الحدث المركزي ثوب المأساوية الهادئة تحت ضغط الوضع العام " ³ هذه المأساوية التي كانت سائدة في مكان مغلق يخنق الشخصيات ، فيجعلها تفكر بشكل سلبي في تغيير وضعها ، متمثلة في وقوف المكان كعامل معاد لها ، فلم تصمد حتى تفجرت في الأخير في مكان استبعدنا انتهاء الرواية فيه " لوحة مأساوية " اسقط الكاتب من خلالها مشاعر القارئ ، وجلب اهتمامه لمثل هذه المواضيع المبتوثة في الحياة بشكل عام .

1 ربح الجنوب ، ص 264

2 ربح الجنوب ، ص 256

3 بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، ص 128

2- علاقة المكان بالشخصية

الشخصية هي عنصر من العناصر الأساسية التي تقوم عليها الرواية، يجمعها بالمكان علاقة وطيدة، تتقاطع معه في الوصف و التسمية والتي يمكن التعرف عليها من خلال المظهر الفيزيولوجي ، و طريقة اللباس ، وحتى طريقة الكلام .

يقدم بعض الكتاب في رواياتهم وصفا للشخصية ، و البيئة التي تعيش فيها ، فيحرمون القراء من متعة تصور هذا المكان ، بينما نجد البعض الآخر يكتفون بإعطاء المظهر الفيزيولوجي ويتركون تحديد المكان للمتلقي ، فعندما يصف الكاتب شخصيته بأنها ذات بشرة سمراء و شعر مجعد ، نستنتج مباشرة بأنها من الجنوب ، وعندما تكون الشخصية ذات بشرة بيضاء أو شقراء ، فهذا يعني أنها منحدر من بيئة شمالية أو أوروبية ، كذلك تعتبر اللهجة و نوعية الطعام و السلوك مؤشرات هامة يوظفها الكاتب فيتمكن المتلقي من تحديد بيئة الشخصية .

ولا يتوقف الأمر هنا بل يتعداه إلى الأسماء التي ينتقيها الكاتب بعناية خاصة حتى تؤدي دورها ، وتقود المتلقي إلى فهم المكان الذي ينتمي إلى الشخصيات من خلال أسماءها ، كالأسماء التاريخية ، و الدينية ، و السياسية...الخ.

من هنا تتحدد علاقة الشخصية بالمكان ، حيث تكون سببا في وجود الأحداث الروائية و تطورها ، و التي يظهر من خلالها تأثير الشخصية بالمكان ، ومدى تجاوبها معه سلبيا أو إيجابيا، وبذلك تصبح هذه العلاقة ذات أهمية كبيرة ؛لأنها تساهم في صيرورة و نجاح الرواية إلى حد بعيد " ويبدو أن ابن هذوقة قد انتبه إلى هذا ، وإلى دور المكان في بناء الشخصية" ¹؛ لذلك تركها تتصرف بكامل حريتها ، في التعبير عن ذاتها ووجودها ضمن هذا النوع من الأمكنة ، والموضوع الرئيسي في رواية "رياح الجنوب" هو الصراع من أجل المكان ،حيث اتخذت الأطراف المتصارعة مختلف السبل الايجابية منها و السلبية للحفاظ على المكان ، و دفاع

1 ادوات النص، ص 109.

الشخصية عن المكان هو دفاع عن ذاتها ، و كيانها ، ووجودها الذي يتحقق من خلال تواجدها في المكان ، وكثيرا ما يحرص الكاتب في اختيار المكان المناسب لشخصياته لحساسية هذا المكون فأى خلل في بنيته ، سيؤثر و بشكل مباشر على علاقته بالشخصية ، و تواجدها فيه.

2- 1- علاقة نفيسة بدار ابن القاضي

تختلف معرفة أهل القرية لدار ابن القاضي عن معرفة نفيسة لها، فهي بحكم إقامتها فيها تدرك جيدا خبايا هذه الدار ، وخبايا نفوس أهلها ، خاصة الحاكم فيها وهو ابن القاضي الذي حول هذه الدار من مكان للراحة إلى سجن يضيق بسكانه رغم اتساعه ، و هذا ما عبرت عنه نفيسة من خلال الرسالة التي بعثتها إلى خالتها.

" السجن الذي اقضي فيه أيامي لدى أهلي يزداد ضيقا يوما بعد يوم ، وإن أبي الذي يمثل في نفس الوقت القاضي والجلاد ، حكم ألا أعود إلى الجزائر لمتابعة دراستي ، قرر أن يزوجني بشخص لا اعرفه و لا اعرف كيف يمكن أن أحيا معه ، فعمره يبلغ على الأقل ضعف عمري ، يقال إنه خطيب أختي زليخة المأسوف عليها ، و هو يشغل منصب شيخ البلدية و مهما يكن شأن هذا الشخص فإن في حياتي لم أفكر لحظة أن اقضيها في هذا الخراب ، ودراستي لا يمكن أن انقطع عنها ¹".

لقد كانت دار ابن القاضي من أجمل الدور في القرية وأوسعها ، وكلها أشياء تجلب السعادة في حياة الإنسان باعتباره المكان الوحيد الذي يلجا إليه الإنسان بعد عناء يوم كامل ليحميه من البرد و الحر ، فتتحقق له أسباب السعادة ، لكن هذا المنزل تحول من مكان يشارك الناس أفراحهم و أحزانهم إلى مكان يسبب الحزن لأصحابه، ومن مكان يتسع لكل أهل القرية إلى مكان يضيق بأهله.

1 ربح الجنوب، ص93

"إن وضع البيت على هذا النحو يتناقض مع ماهو معروف عن البيت ، إذ أن البيت هو المكان الآمن الذي يوفر الراحة للشخص الذي يسكنه ، أما هذا البيت فقد بات مصدرا للقلق والخوف"¹ فرغم تواجد نفيسة في بيت متسع إلا أنها لم تكن سعيدة أبدا بهذه العطلة ؛ لان المكان الذي تعيش فيه أصبح مصدرا لبؤسها في كثير من الأحيان فلدار قوانين يجب أن تحترم ، و كونها فتاة فهذا يلزمها بعدم الخروج من الدار حتى لاستنشاق الهواء و تمديد رجليها ، لذلك فإنها كانت تنتهز فرصة الخروج حتى وإن كان خروجها لا يجلب لها السعادة ، ولا يغير من حالها شيئا " أود أن أرى الدنيا ، إنني اختنقت في هذا السجن "² مع أن دار ابن القاضي " ليست سجنا اعتياديا لصرف مدد العقوبات فإنها تتضمن كثيرا من قيم الإلزام و الاحتجاز المألوفة في السجون "³ كانت نفيسة تنتظر إلى الدار على أنها سجن فيها كل صفات الضيق و الاحتجاز رغم رحابتها و اتساعها ، فهذه الدار هي " نفي للبيت ، ووظيفة السكنى "⁴ فوضعية نفيسة في هذه الدار تشبه وضعية السجين الذي خلف وراءه عالم الحرية ممثلة عند نفيسة في الجزائر " فما إن تطأ أقدام النزول عتبة السجن مخلفا وراءه عالم الحرية حتى تبدأ سلسلة العذابات التي لن تنتهي سوى بالإفراج عنه " ⁵ لكن الإفراج عن نفيسة غير متاح لان ابن القاضي قضى عليها و حكم عليها بالسجن المؤبد عندما أراد لها أن تكون ثمنا يدفعه مقابل الحفاظ على أرضه ، وأمام هذا الحكم الذي اصدر في حقها ليس عليه سوى الرضوخ ،و إلا عاقبها المكان كما عاقب رايح عندما حاول كسر قوانينه.

1 أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ط1 ، الأردن ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، 2001، ص 40

2 ريح الجنوب، ص 20

3 بنية الشكل الروائي، ص 48.

4 جاتسون باشلار ، جماليات المكان ، تر : غالب هلسا ، ط 1 ، ب س ، دار الجامعة للنشر ، ص 77

5-بنية الشكل الروائي ، ص 55

2-2 - علاقة نفيسة بغرفتها

لقد كانت نفيسة تقضي جل وقتها في غرفتها منذ عودتها من الجزائر ، بسبب التصادم الذي كان بينها وبين والدها مما ساهم و بشكل كبير في تنافر العلاقة بينهما ، فتحوّلت الدار بذلك من مكان للألفة إلى مكان معاد، وإحساس نفيسة بالخطر الذي يدهمها من طرف والدها جعلها تنزوي داخل غرفتها الضيقة " الحجرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار ، وعرضها كذلك ، بها كوة خارجية مطلة على جزء من البستان ارتفاعها سبعون سنتم و عرضها خمسون سنتم " ¹

لقد ساهمت المساحة الضيقة إضافة إلى ما سبق في زيادة الضغط الذي تعاني منه نفيسة ، فأصبحت قلقة باستمرار ، و زادت محاصرة أمها لها الطين بلة ، فما كان من نفيسة إلا أن تمردت عليها بملازمتها الفراش طول النهار ، وعدم مشاركة أمها الأعمال المنزلية لأنها تعلم أن هذا الأمر يغيضها " ثم انبطحت من جديد في فراشها كأنها تتحدى ما تريده لها أمها² " إذن تميزت غرفة نفيسة بالحميمة ، لأنها كانت موطن أسرارها ، تعبر فيها عن شعورها بكل حرية بعيدا عن رقابة أسرتها ، كما تثبت فيها كل معاناتها و ألماها ، لكن رغم هذا وذاك فهي لا تحس في هذا المكان بالراحة المنشودة ؛ لأنه هو الآخر سبب لها الحزن و الكآبة ، و الوحدة ، و القلق " وعادت إلى حجرتها تبكي و لكن البكاء لم يكن دموعا ، وإنما اختناقا.... " ³

2-3 علاقة نفيسة بالقرية

لقد كانت القرية في نظر نفيسة مجرد خراب لا يصلح العيش فيه ؛ لأنها كانت تحس فيه باختناق شديد ، ناتج عن عدة أسباب كان من بينها : عدم تكوينها لأي علاقة مع أترابها في القرية تروح بها عن نفسها ، إذ أن جميع من في سنّها تزوجن ، وأصبحت إهتمامتهن منصبة على إرضاء الزوج ، وتربية الأبناء ، فطموح نفيسة إذن يختلف عنهن ، و هي التي انتقلت إلى المدينة من أجل المعرفة و الثقافة ، لذلك تبدو وطأة المكان عليها اشد من غيرها ، كذلك " يجب أن نفهم انتقال نفيسة من المدينة - الجزائر - إلى القرية على انه انتقال من نظام إلى نظام مغاير " ⁴ فأصبحت

1 ريج الجنوب، ص 08

2 ريج الجنوب، ص 13

3 ريج الجنوب ، 205 .

4 أرشيد بن مالك: سميائية الفضاء في رواية " ريج الجنوب" الملتقى الدولي الأول، عبد الحميد بن هدوقة، الجزائر، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريج، 1998، ص 20.

نفسية بهذا نمودجا للنساء الذين لا ينتمين لا إلى المدينة ولا إلى القرية، حيث يعتبرها أهل المدينة قروية ، وأهل القرية يعتبرونها متمدنة ، بحكم إقامتها في المدينة فترات طويلة ، ولعل هذا ما جعل نفسية تحس بالغربة داخل هذه القرية ، فالفروق التي أحست بها نفسية بين القرية و المدينة أدت بها إلى رفض هذا المكان الخانق ، كما جعلها " تحتج احتجاجا محملا برسالة رفض للوضع القائم ، لأنها لم تستسغ حضور فروق جوهريّة بين الرجل والمرأة في القرية و غيابها في المدينة هنا لا تخرج و هناك تخرج " ¹ ؛ هذا ما جعل معاناة البطلة مستمرة طيلة إقامتها في القرية ، هذا المكان الذي حولها إلى امرأة عديمة الإحساس بالمسؤولية رغم مستواها الثقافي .

2-4 - علاقة نفسية ببيت رابح

إن ذهاب نفسية إلى بيت رابح في نهاية الرواية لمفاجأة لم تكن نتوقعها، بحكم ما جرى بينهما و حتى أن الأمر لم ينتهي عند هذا الحد ، بل تعداه إلى بقاء البطلة في بيت الراعي مدة طويلة في سرية تامة ، كل ذلك ولد لنا إحساسا بالغربة ، حيث أحست نفسية بألفة هذا المكان رغم فقر أهله وكذا غناه بالدفيء الأسري الذي افتقدته داخل أسرتها .

"كانت نفسية واقفة عند عتبة الباب تنظر إلى الأم و ابنها هما يتعاونان في بساطة و عفوية رائعة " ² لكن رغم إيجابية هذا المكان بالنسبة إلى نفسية، إلا أننا نعد هذه العلاقة كسر لنظم المكان لأنها خالفت عادات و تقاليد القرية ، فهذا النوع من العلاقات يتسبب دائما في نهاية مأساوية في هذا النوع من الأمكنة ، وبالفعل فهذا ما حدث في نهاية هذه الرواية ، هذه النهاية التي عجزنا عن تقبلها ، كما فشل معظم القراء و الناقدين في استيعابها.

¹سميائية الفضاء في رواية ربح الجنوب،ص20

²ربح الجنوب،ص259

2-2 علاقة ابن القاضي بالمكان

1-2-2 علاقة ابن القاضي بالأرض

إن علاقة ابن القاضي بالأرض واحدة من العلاقات المهمة بين الشخصية والمكان إلى درجة يمكنه معها أن يكون سبب وجود العمل الروائي فكل الصراع القائم في الرواية كان بغية الحفاظ على الأرض التي يملكها ابن القاضي ، و الثمن هو الأبناء " الأبناء هم الحل " ¹ وذلك بتزويج ابنته نفيسة بشيخ البلدية مالك ، من هنا ندرك أهمية المكان بالنسبة لابن القاضي ، و حجم معاناة نفيسة بسبب هذه الأرض التي رفض صاحبها الرضوخ إلى القانون الجديد ، ولولا ذلك لما مانع ابن القاضي أبداً إكمال نفيسة لتعليمها " لولا ما يخشاه من ضياع أرضه ، لاستطاع أن يدعها تعود إلى الجزائر لمواصلة دراستها ، ولأمكنه أن لا يرغمها على الزواج ، إذا لم تكن راضية " ²

من هنا نفهم أن ابن القاضي اتخذ ابنته وسيلة يحافظ بها على الأرض الذي يحس بوجوده من خلالها ، وليس التعت و إجبار ابنته على الزواج ، و منعها من مواصلة تعليمها ، لقد خطط الرجل لهذا الأمر في سرية تامة ، لم يرد لأحد أن يطلع عليه حتى زوجته " لو حدث زوجه بكل هذا ، ماذا ستقول لاشك أن ابنتها تهمها أكثر من الأرض وهذا لا ينبغي أن يقع أبداً " ³ و يعد ابن القاضي من الأشخاص السلبيين في هذه الرواية؛ لأنه اختار أساليب ملتوية يحافظ بها على الأرض مهما كانت الوسيلة المتبعة المهم عنده أن يصل إلى هدفه. فهذه الشخصية المرتبطة ارتباطا غير عادي بالأرض مع " اشتمالها على عناصر شريرة كمعادل موضوعي يحاول بها الراوي أن يستفزها مشاعر القارئ ، و أن يشوه بها عن قصد مواقف هذه الشخصية ، و من أهم هذه العناصر : فرضه الزواج على مالك من ابنته ، وهو السلوك الذي يتنافى و المعايير الأخلاقية الريفية " وكلها عناصر وضفها الكاتب ليستفز بها مشاعر القارئ ليثور

1 ربح الجنوب ، ص 48

2 ربح الجنوب ، ص 91 .

3 نفسه

ضد هذه الشخصية الظالمة حيث رسمه " كشخصية جائرة ، مستبدة ، مطلقة الأنانية ¹ " و لكن المفاجأة كانت إذ انتقم الكاتب من ابن القاضي في نهاية هذه الرواية ، حيث سلط عليه اشد العقوبات و هكذا كانت نهاية هذه العلاقة السلبية مع نهاية هذا الرجل الإقطاعي في نهاية هذه الرواية .

2-2-2 علاقة ابن القاضي ببيت الراعي رابع

لقد شكل هروب نفيسة من البيت فضيحة انتشرت بسرعة البرق في هذا المكان الضيق ، و حانت الفرصة لكل واحد يكره ابن القاضي ليأخذ ثأره منه " كان احد سكان القرية قد علم بخبر وجود الفتاة في دار الراعي ، وكانت بينه وبين ابن القاضي عداوة قديمة أيقضها هذا الخبر المدهش فترصده كامل النهار ليطلعه على مخبأ ابنته انتقاما منه و إهانة له ، و اتخذ مكانا له بالطريق الرئيسي الذي يمر منه ابن القاضي " وهذا ليخبره بمكان ابنته ، و لما علم ابن القاضي ثار و اسودت الدنيا في وجهه ، و قرر الذهاب مباشرة إلى بيت الراعي مفكرا في الطريقة التي يداهم بها بيته " وفكر قبل الوصول أن لا يدق الباب، بل يفاجئ من في الدار ، فإذا كانت نفيسة هناك فلن تستطيع الاختفاء ² و فعلا نفذ ابن القاضي فكرته التي تدل على انه ذو شخصية متسلطة و تفكير حقير، إذ يسمح لنفسه بانتهاك حرمت الناس ، ويهجم الرجل على بيت الراعي و يجد نفيسة هناك ، فيحس نفسه في سجن موصد الأبواب ، وهنا يعكس الكاتب الأدوار بين نفيسة و أبيها " إن الدنيا لم تسود في عينيه فقط بل أصبحت سجنا ضيقا يطوقه بقضبان حديدية شائكة.... ³ "

2-3- علاقة رابع بالمكان

1 الشخصية في الرواية الجزائرية ، 1970/1973 ، ص 14 .

2 ربح الجنوب، ص 264

3 ربح الجنوب، ص 255

2-3-1 - علاقة رابح بدار ابن القاضي

إذا كانت دار ابن القاضي بالنسبة إلى نفيسة مجرد سجن، فرابح الراعي كان يعرفها معرفة شكلية فقط، حيث كان يرتادها كل صباح ليأخذ الأغنام ترعى، فلم تربطه بها أي مشاعر سوى انه المكان الذي يرتزق منه " يعرفها معرفة أخرى... كان يعرف مثلاً أن عدد شجرات التين في الجهة الشمالية للدار ثلاث، و شجرة لوز أخرى، أما في الجهة الشرقية فلم يكن فيها شجر ماعدا شجرة لوز سودها ما تعاقب عليها من أزمان. كانت إذا أوقرت الأشجار و أزهرت لم تجد هي ما تغطي به شقوقها و قشورها. أما في الجهة الجنوبية فلم يعد الأشجار لان هناك البستان الذي يتصل ببقية بساتين القرية " ¹، إلا أن إحساسه بهذا المكان تغير منذ أن نادته نفيسة من النافذة و ضحكت له ، مما جعله ينجذب إلى هذا المكان و لا يستطيع مفارقتها ، فتحولت بهذا علاقة رابح بهذا المكان من علاقة محللة هدفها كسب القوت إلى علاقة محرمة هدفها تحقيق رغبته الحيوانية، وفي الأخير انتهت علاقة رابح بهذا المكان بصدمة غيرت مجرى حياته ، عقاباً له على انتهاكه حرمة المكان .

2-4-4 - علاقة مالك بالمكان

2-4-1 - علاقة مالك بدار ابن القاضي

لقد كان مالك مرتبطاً بدار ابن القاضي عن طريق علاقة مصاهرة قديمة من أيام الثورة ، و هو شخصية هامة في القرية سواء أثناء الثورة أو بعدها ، لأنه حمل السلاح ضد العدو عن وعي ؛ هذا ما جعله محبوباً و كلمته مسموعة عند المجاهدين ، ما جعل ابن القاضي يتقرب منه من اجل تحقيق مصلحته ، حيث دعاه ذات يوم إلى بيته حتى يعرفه على ابنته زليخة "

وأمام باب الدار الخارجي توقف مالك، و لكن ابن القاضي اقسم له أن يدخل معه إلى حجرة العائلة : " دخل مالك إلى الحجرة العائلية في لباسه العسكري، فاستقبلته خيرة استقبالا حسنا وقدمت له ابنتها زليخة و قالت: " هذه زليخة ابنتي التي تقرا في الجزائر ، أنت لا تعرفها يا مالك " ¹

ضل مالك يحوز على اهتمام أهل القرية ،حتى بعد الاستقلال إذ شغل منصب شيخ البلدية ، فصار بذلك من أعيان المكان ، وحضر يوم تدشين مقبرة الشهداء " أصبحت القرية نشيطة حافلة بالرغم من الحر ، تستعد لتحيا ، يوما قلما شهدت مثله ، فستستقبل بعد قليل مالكا شيخ البلدية و مسؤول الحزب للناحية و بعض الشخصيات المدعوة من القرى المجاورة ، لحضور تدشين مقبرة لأبنائها الشهداء الذين سقطوا أيام حرب التحرير " ²

و لقد لاحظت خيرة تجنب مالك لدارهم ، حتى أنها شكت ذلك لرحمة " لكن مالك ياخاله ، لم يبدأ أبدا انه كان خطيب زليخة في يوم من الأيام منذ تلك الحادثة الرهيبة التي جرح فيها لم يقف بيننا و جاء الاستقلال و انتهت الحرب و لكنه ازداد ابتعادا عنا " ³ بعدما كان مالك يتردد على هذا المكان باستمرار لرؤية خطيبته زليخة ، لكن بمجرد موتها انقطعت علاقته بهذا المكان الذي تحول إلى مكان طارد بعدما كان جاذبا له قبل رحيل الشخصية .

من هنا شكلت ثنائية - الجذب والطرْد - هذا المكان ، فعلاقة مالك بهذا المكان من العلاقات التي تثير الشجن والذكرى لأنه يذكره بالماضي لذلك نجده يتحاشاه، و رغم ذلك إلا أن ابن القاضي أعاد محاولته مرة ثانية في التقرب إلى مالك شيخ البلدية ليعفيه من خطر القانون الجديد القاضي بنزع ملكية الأراضي و توزيعها على الفلاحين ، وبنفس الحيلة ليقوع مالك في فخه و يضطره هذه المرة إلى خطبة ابنته نفيسة ، وفعلا تمكن ابن القاضي من إقناع مالك بدخول داره ، فأصبح بالنسبة إلينا شخصية سلبية تنقاد بسهولة رغم ما يكنه له من كره.

1 ريج الجنوب، ص50

2 ريج الجنوب، ص41

3 ريج الجنوب، ص30

2-4-2- علاقة مالك بالقريبة

لقد كان مالك شخصية مهمة بالنسبة لأهل قريته ؛لأنه يشغل منصب شيخ البلدية هناك، ووظيفته هاته تحتم عليه معرفة كل ما يجري سواء في قريته أو في القرى المجاورة ؛ لذا فمن البديهي أن تكون هناك علاقة تأثر و تأثير متبادلة بين الشخصية و المكان ، والكاتب من جهته يحرص دائما على أن يكون المكان في الرواية مناسبا و منسجما مع مزاج شخصياته ، ويتخذ مالك الجلوس في المقهى وسيلة يطلع بها على مستجدات المكان الذي يعيش فيه رغم كرهه الذهاب إلى المقهى ،إلا أن طبيعة عمله فرضت عليه ذلك كما قال بن هدوقة " أحب ذلك أم لم يحب" وإلا كيف سيلتقي بالسكان و يتعرف على مشاكلهم ؛ وهكذا يتمكن مالك من الحفاظ على علاقته بالمكان الذي يعيش فيه ف " حركة الحياة و التاريخ لا تتوقف ، فالأمكنة تتبدل و الشخوص يتبدلون ، ولكنهم يحافظون على الأمكنة التي عاشوا ترعرعوا فيها ، ولهذه العلاقة الجدلية بين المكان و الشخصية ، مفهوم تحولي استمراري تتابعي في مسيرة الأجيال"¹

علاقة المكان بالزمان

يعتبر المكان والزمن وجهان لعملة واحدة هي الرواية ، فالكلام عن احدهما يستدعي وجود الآخر ، حيث لا يمكن للعمل الروائي أن يقوم دون وجودهما ؛ نظرا للعلاقة الوطيدة التي تجمعهما إلى درجة أنهما جمعا في مصطلح واحد : " الزمكان " ف " إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث ، فإن المكان يظهر على هذا الخط و يصاحبه ويحتويه"² لكن هذا لايعني أن الرواية تقوم على هذين العنصرين فقط بل بإتحداهما مع باقي العناصر السردية الأخرى .من خلال كيفية الإدراك يعد المكان انعكاسا للزمن؛ فكل تغير في الأول يحدث بتأثير من الثاني

1جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 1051، التحولات في المكان و الشخوص وتداخل الأزمنة 14/04/2007.
2بناء الرواية،ص102.

لابد أن نعرف أن المكان قد يكون ثابتا بدرجة ما ولكن الزمن متغير ، والمكان له دور مكمل لدور الزمان في تحديد دلالة الرواية " ¹ إذن فكلاهما يتحد ويتعاون في تشكيل الرؤية الفنية للكاتب ، و يتميز المكان بالثبوت على عكس الزمن؛ فهو متغير له عدة أشكال وأنواع كما نبه إلى ذلك بوتور" ينبغي تكديس ثلاثة أزمنة على الأقل : زمن المغامرة، وزمن الكتابة ، وزمن القراءة ، و كثيرا ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة ، بواسطة الكاتب خلاصة نقرأها بدقيقتين وربما تكون كتابتها قد استغرقت ساعتين ، خلاصة لقصة قد يكون شخص ما قد أمضى يومين للقيام بها ، أو خلاصة لحوادث تمتد على مدى سنتين " ² ذلك أن الكاتب لا يستطيع أن يلم بجميع تفاصيل الأحداث كما هي في الواقع إلا المهمة منها ، وإلا تطلب ذلك أميالا من الأوراق ؛ هذا ما يجعل زمن الكتابة و القراءة اقل من الزمن الفعلي للحدث، هذا بالنسبة للحدث ، أما بالنسبة للزمن فيمكن للروائي أن يختصر زمنا طويلا جدا في جملة أو جملتين دون أن يخل ذلك بقيمة الحدث أو الرسالة التي أراد الكاتب إيصالها.

إن مزج ابن هدوقة بين الماضي و الحاضر في رواية ربح الجنوب ، اثر على المكان؛ فجعله متحركا في علاقته مع الزمن "

فإذا كان المكان يدرك بالحواس فإن الزمن يدرك حسيا ؛ أي عن طريق العقل ، و الإنسان وحده الذي يشعر بالزمن و تحركاته ، فيحدد الماضي و الحاضر والمستقبل مما يؤكد قوة الترابط بين الزمان و المكان.

سبق و اشرنا إلى اشتغال ابن هدوقة في روايته على نوعين من الزمن هما: الحاضر و الماضي أما الأول فيمثل الواقع الذي تعيشه شخصيات الرواية ، وأما الثاني فيتمثل فيما ورد على لسان الشخصيات و هي تنتقل بين أمكنة مختلفة تثير ذاكرتها .

1منصور عميرة،جمالية البناء الزماني والفضائي في رواية حارسه الظلال لواسيني الأعرج،مذكرة ماجستير،جامعة الجزائر،2006، 2007،ص28

2ميشال بوتور،بحوث في الرواية الجديدة، بر:فريد انطونيس،ط2،بيروت : منشورات عويدات،1982،ص101/102

من هنا تتضح لنا علاقة المكان بالزمن ،من خلال استحضار شخصيات الرواية للأحداث الماضية بتحفيز من الأمكنة التي تتركب منها الرواية ، حيث عمد الكاتب و منذ البداية أن "يجعل الماضي و الحاضر مرتبطين بحيث نستطيع فهم الحاضر بناء على الماضي"¹، فهناك بعض الأشياء التي لم نفهمها في الرواية إلا عندما استحضرت الشخصيات ما كان في الماضي ، إذن ف"التوزيع الزمني لم يكن اعتباطيا"² حيث أحسن التصرف فيه و في الأمكنة التي ساعدت على استحضار الماضي مثلما حدث مع مالك و هو في مقبرة الشهداء .

لقد بدا ابن هدوقة روايته بيوم مميز من أيام المسلمين هو: يوم الجمعة ؛ هذا اليوم الذي يذهب فيه كل سكان القرية إلى السوق و " كان يوم الجمعة تتوقف فيه غالبا كل الأعمال؛ بسبب سفر السكان إلى السوق التي موعدها في ذلك اليوم"³ حيث تكثر في هذا اليوم حركة الذهاب و الإياب إلى القرية المركزية ،فتكون القرية في هذه الفترة الزمنية خالية تستغلها النساء للذهاب إلى المقبرة لزيارة أقاربهم من الموتى.

لقد كان يوم الجمعة في هذه الرواية يوما مميزا لأنه احتضن كل المناسبات السعيدة ؛ كان من بينها تدشين المقبرة و التي فضل أهل القرية بناءها على بناء مدرسة لأولادهم مما يدل على ارتباطهم بالماضي و رفضهم للحاضر و المستقبل المجهول المتمثل في " عهد جديد، تكثر فيه الخلافات ،رمز الديمقراطية ،وتعدد الآراء ، والتي كان من مظاهرها الاختلاف حول المكان الذي ستبنى بها المدرسة "⁴ و دشن الجامع كذلك يوم الجمعة ، وأصبحت القرية كعادتها خالية " اليوم الدشرة خالية ،ذهب الناس كلهم إلى سوق الجمعة لحضور تدشين بناء الجامع الجديد "⁵

1جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، 331

2البنية و الدلالة في روايات نصر الله، 331

3 ريح الجنوب،ص7

4الشخصية في الرواية الجزائرية،ص88

5ريح الجنوب،ص23

ولقد كانت صيرورة الأحداث تتوقف من حين لآخر حينما تستحضر شخوص الرواية الزمن الماضي ؛ حيث مكننا ذلك من التعرف على بنية المكان و الشخصيات ، و على الفترة الزمنية التي نسج عليها الروائي خيوطه مما جعل الأحداث تبدو واقعية مثل الرسالة التي بعثت بها نفيسة إلى خالتها في الجزائر ، حيث كتبت فيها الشهر و السنة " أوت 1964 " كذلك عرفنا السنة التي توفيت فيها زليخة و هي سنة سبعة وخمسين " وفي صيف 57 جاء مالك مع بعض رفاقه إلى القرية في مهمة وإذا به يعلم هناك أن خطيبته قادمة من الجزائر في الغد ؛ وكان هو اليوم المحدد لتنفيذ المهمة التي جاء من أجلها¹.

وعليه، فالرسالة التي كتبتها نفيسة كانت بعد سبع سنوات من وفاة زليخة ، نستنتج مما سبق أن الكاتب أرخ أحداث روايته عمدا ؛حتى تبدو أكثر واقعية فتصل بذلك رسالته إلى المجتمع بسهولة لذلك يبقى "تحديد الزمان و المكان ضروري ، بل وإلزامي"².

وكل هذا توفر للكاتب بفضل ما يتمتع من براعة التنقل بين الماضي ؛المتمثلة في الأحداث المستذكرة والتي وقعت في زمن مضى،و الحاضر ، والمسرح المشترك بينهما هو القرية ، و المستقبل الذي يمثل آمال و أحلام نفيسة في الرجوع إلى الجزائر لان "الزمن خيط وهمي مسيطر على كل التصورات و الأنشطة و الأفكار " ³.

إن براعة الكاتب في رسم الزمن جعلتنا بحق نتمتع ونحس أننا في عالم حقيقي لان " الزمن نسج، ينشا عنه سحر، ينشا عنه عالم، ينشا عنه وجود، ينشا عنه جمالية سحرية، أو سحرية جمالية... فهو لحمه الحدث، و ملح السرد، وصنو الحيز، وقوام الشخصية "⁴.

أما عن المكان فقد تعامل معه ابن هذوقة كتعامل المهندس في رسوماته، فضبط قياساته و تحرى أبعاده ليسقط في النهاية كل شخصية في مكانها المناسب مع إحاطتها بالزمن ، حيث اثر

1 ربح الجنوب، ص52

2 المصطفى مويقن، تشكل المكونات الروائية، ط1، سورية، دار الحوار للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، ص190.

3 في نظرية الرواية، ص174.

4 في نظرية الرواية، ص207

هذا الأخير بالاشتراك مع المكان على شخصيات الرواية، مثل مالك الذي لم يستطع تخطي الماضي لأنه دائم الحضور ؛ كلما وقف بمكان له فيه ذكرى " إن صيغة العودة للماضي التي قدمها النص وظفت للقيام بوظيفتين ؛ الأولى إخبارية عن ماضي " ¹ و الثانية تتمثل في هذا الحاضر الذي لم تتمكن من التأقلم مع معطياته الجديدة " ² لقد كره مالك تلك الأمكنة التي تذكره بالأحداث السيئة التي مرت عليه كدار ابن القاضي و المقبرة ؛ خاصة عندما قرأ هذه العبارة " هذا قبر الفتاة الشهيذة " و من هنا تذكر الزمن الذي وقعت فيه الأحداث ، رغم أنها انتهت وصارت ماضية إلا أن " التذكر إحساس حاضر " ³ و بهذا يندمج الزمان والمكان عند الشخصية رغم اختلاف طريقة إدراكهما حيث " ندرك المكان حسيا ، و ندرك الزمان نفسيا " ² إذن " ² من هنا يبدو الجدل بين الزمان و المكان..... " .

لقد شكلت سنة 57 منعرجا حاسما في حياة مالك نظرا لما احتوته من حوادث شيقة رمت بضلالها على حاضره ومستقبله " وكان الماضي أصبح ذا ديمومة اضمحلت أمامها كل آمال المستقبل و الحاضر اللذين أصبحا لا يشكلان أية قيمة بالنسبة لمالك ، نظرا لارتباطهما بالماضي " .

ظل مالك يتذكر و بشكل دائم تلك الأحداث كلما سمح له المكان بذلك؛ مثل بيت العجوز رحمة الذي جعله يسترجع ما جرى في تلك السنة، و هي التي أخذته إلى بيتها لتعالجه يوم سقط جريحا.

لقد تعمد الكاتب توظيف التاريخ، وجعله ذا مدلول استحضاري استذكاري تأكيدا منه على تلاحم الماضي بالحاضر في الرواية، أما المستقبل فيتمثل في أمل الشباب في مغادرة هذه القرية نحو بلد آخر، وكذا رغبة نفيسة في العودة إلى الجزائر.

1 الايديولوجية وبنية الخطاب الروائي، ص 308

2 نفسه

3أ- أمندلاو : الزمن والرواية ، تر: بكر عباس ، ط1 ، بيروت ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، 1997 ، ص 35.

إذن ارتبطت بعض الأمكنة في الرواية بأحداث معينة عند بعض الشخصيات ، فكانت إما مبعثاً للحنن أو الفرح ، فإذا كانت المقبرة تذكر مالكا بأسوء اللحظات التي عاشها في الماضي ، فإنها عند رحمة سببا لإحساسها بالمتعة ؛ حيث تذكرها بالماضي السعيد الذي عاشته إلى جانب زوجها ، حتى أنها تشكي له وطأة الزمن الحاضر ، إذن تعد العجوز رحمة بمثابة الأرشيف الذي سجل لنا الأحداث الماضية التي مرت بها القرية ، و مدى تأثيرها على السكان " وكان عام البون هذا من أعوام الحرب العالمية الثانية ، وعملية تقسيط بيع المواد الغذائية على السكان امتدت من حوالي 1941 إلى سنة 1949 . وكانت معظم سنين الحرب سنين جدد ومجاعة فشمل ذلك التقسيط القرى و المد اشرفانتشر الوباء في القرى ، فكان الموت يحصد الناس حصدا ¹ ليس هذا فحسب بل كانت بمثابة همزة وصل بين الزمن الماضي الذي يمثل جيل الثورة ، وبين الزمن الحاضر الذي يمثل جيل الاستقلال من خلال قصها لما حدث في الماضي لبعض الشخصيات من جيل الاستقلال والذي كان مهتما بما حدث في الزمن الماضي ؛ من بينهم راجح " كانت عينا راجح تراقبان باهتمام بالغ حركاتها المثبتة أو النافية لما تستعرض من أخبار تتعلق بأهله وبماضي القرية ² وقد وظف الكاتب هذه الذاكرة عنوة من اجل " تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك ³ فلولا هذه المرأة لما تمكن جيل الاستقلال من معرفة أي شيء عن ماضيه الذي اثر بشكل سلبي على بنية المكان إلى درجة جعل رحمة تنقش معالمه على الآنية التي تصنعها ؛ مثل مرض أم راجح الذي خلف لها البكم ، و الذي عبرت عنه العجوز برمز رسمتها على أنيتها " انظر هذا الرسم هو السنة القاحلة . ارايت ؟ إنها سوق الزرع بلا سنابل . وهذا الشكل هو "ريح التركة " ارايت هذه الشمس المظلمة التي لها مخالب ؟ هي المرض بابني وهي الموت الذي خرب بيوتنا... ⁴ .

1ريح الجنوب،ص25

2ريح الجنوب،ص129

3جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج،تر:محمد معتصم و آخرون،ط3،المجلس الأعلى للثقافة 61،2003.

4ريح الجنوب،ص130

لقد حاولت هذه الذاكرة المتنقلة عبر الأمكنة في كل مرة أن تزرع الأمل في هذا الزمن على شخصيات هذه الرواية مثلما فعلت مع أم نفيسة مكفكة دموعها " لا تبكي يا خيرة إن أيام الأحران تقابلها أيام المسرات و الثورة الآن انتهت ، ونحن سعداء في أرضنا" ¹ والعجوز رحمة على حق لان المعاناة الحقيقية ذهبت مع ذهاب الاستعمار ، ولقد اكتشفنا من خلال تجوالنا في محطات هذه الرواية ان الإحساس بالزمن يختلف من شخصية لأخرى ومن مكان لآخر ؛ حيث أحست كل من العجوز ونفيسة ببطيء سير الزمن وتلونه بالأسود مع اختلاف في نوعية الزمن وهذا ما نلمسه من الحديث الذي دار بين خيرة ورحمة حيث قالت هذه الأخيرة " ألا تذكرين تلك الأيام السوداء التي عشناها ؟ كانت أياما تشبه القرون ومع ذلك انقضت و الحمد لله " ² ، أما بالنسبة لنفيسة فمشكلتها كانت مع الزمن الحاضر الذي تسبب لها في عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي " فالإحساس القوي بالألم أو السرور يجعل الزمن يبدو طويلا ... لأنه يجعلنا اشد وعيا بأفكارنا " ³ حيث كان الزمن ذا سلطة قاهرة على نفيسة عندما اجبرها على الإقامة في هذه القرية طيلة مدة العطلة ، وما زاد الطين بله ؛ سلطة أبيها و تعنته مما أدى بها إلى محاولة الهروب من هذا المكان والذي كان سببا في فشل نفيسة في تحقيق غايتها بالتححرر من سلطة المكان الذي رمى لها المعوقات في طريقها ، حيث سلكت نفيسة طريقا وعرا حال بينها وبين نجاح خطتها في الهروب وبالتالي عودتها إلى بيت أبيها في نهاية الرواية ؛ وكل هذا هو إشارة من الكاتب إلى صعوبة العيش، و التغيير في مكان مغلق لايعترف بالحرية كونه اعتاد على القيود " فالانغلاق في مكان واحد دون التمكن من الحركة حالة تعبر عن العجز... " ⁴ حيث تنوعت هذه القيود بين المكانية مثلما وجدناها عند نفيسة، و بين النفسية مثلما نجدها عند مالك الذي ظل قابعا في قوقعة ماضيه الأليم " لقد كان بلاؤه الحقيقي هنا في القدرة على التخلص من رواسب الماضي والتحول كلية إلى

1ريح الجنوب،ص29

2 ريح الجنوب،نفسه

3الزمن و الرواية،ص141.

4بناء الرواية،ص103

الواقع العلمي الجديد، كيف يمكن أن ينتزع نفسه من ماضيها العاثر و أن يعيش للمبدأ الجديد ينافح عنه و يفنديه؟ " إذن لقد اثر هذا الماضي على مالك إلى درجة أن جعله عاجزا عن تخطيه ، والاهتمام بمسؤولياته اتجاه هذا المكان و أهله فنجد شخصيات هذه الرواية تحس و تتألم عوض أن تحاول تغير واقعها.

لقد اختار الكاتب هذا المكان كصورة مصغرة لباقي القرى الجزائرية المعزولة بعد الاستقلال مصورا ما كانت تعانيه من ظلم حيث حصرت بين التيار الإقطاعي الذي خلفته الثورة و بين التيار التقدمي ، فصاغ كل ذلك في شكل رواية تستمد موضوعها منصب الواقع المزري في وقت الاستقلال ، مستعينا في ذلك بتقنيات السرد ؛ و هي استرجاع الماضي عن طريق الذكريات وتخيل المستقبل المجهول بمختلف احتمالاته.

نلاحظ في الأخير أن المكان والزمان في الرواية متناسبين و القضايا التي تطرق إليها الكاتب ، حيث شكلا معا وجهي العملة الواحدة لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر في رسم لوحة الحياة والتعبير عنها ، فالزمن "هو بكل بساطة المدة الزمنية التي وقعت فيها أحداث الرواية،نكشفها من خلال إشارات مباشرة أو غير مباشرة في النص الروائي عينه"كذلك لم يتمتع المكان في الرواية بالاستقرار في الزمنين المضي والحاضر ؛ حيث كانفي الماضي ملكا للاستعمار و الحركي ، أما في الزمن الحاضر فقد انقضى عليه الإقطاعيون الذين خلفتهم الثورة ، وما يمكن قوله في نهاية هذا الفصل: انه لا يمكن للمكان أن يستغني عن الزمن و العكس صحيح لان " الرواية رحلة في الزمان والمكان على حد سواء"² .

1 صالح إبراهيم: الفضاء و لغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، ص88
2 أدوين موير، بناء الرواية، تر: إبراهيم العبيدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الدار المصرية، ص62.

خاتمة

خاتمة

نصل الآن إلى آخر محطة في البحث، و الذي توصلنا فيه إلى النتائج التالية:

أ-بالنسبة للرواية

إن رواية ربح الجنوب واكتب الواقع الوطني عامة و القومي خاصة - الريف - حيث التزمت بطرح قضاياها و مشكلاته الاجتماعية، و الاقتصادية، و السياسية و التي رمت بظلالها على المكان الروائي وأثرت كذلك على بنيته الدلالية. حيث كانت المظاهر المكانية في الرواية علامات دالة عن أهم المراحل التي مر بها التاريخ الجزائري الحديث، كمرحلة الثورة و الاستقلال و ما صاحبهما من تحولات. لم تكتفي الرواية المختارة بطرح قضايا و إشكالات الواقع الوطني الجزائري، بل تجاوزته إلى مختلف القضايا القومية والإنسانية البالغة الحساسية مثل : قضية تعليم المرأة الذي يحتاج للتنقل إلى الأمكنة البعيدة، و حرية التعبير التي كانت تمنع على المرأة داخل المجتمعات الريفية .

كذلك طرحت قضية الهجرة و التي تعد من أخطر المواضيع آنذاك وحتى الآن و التي تولدت عن تدهور الوضع الاقتصادي في البلد، حيث أدى هذا التنوع الموضوعاتي إلى تعدد الأمكنة و تعدد وظائفها النصية و أدوارها الرمزية و أبعادها الدلالية. ومما سبق، ركز البحث على تتبع تطور فكرة المكانية عند الروائي عبد الحميد بن هدوقة، من خلال دراسة رواية " ربح الجنوب " حيث انتهى إلى النتائج التالية:

ب-بالنسبة للبحث

لقد أولت الرواية اهتماما خاصا بفضاء الريف، حيث برزت صورة القرية عالما يبرز تحت طائل الفقر و التهميش رغم التضحيات الجسام التي قدمتها أثناء الثورة، ورغم ذلك لم تسعفها الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية في الخروج من حالة التخلف التي تعيشها.

كذلك ساهم الموروث المحلي بأشكاله المتنوعة في رسم تقاسيم الأمكنة مثل: صناعة الفخار الذي كان عبارة عن سجل يحوي ماضي القرية كذلك الحكايات الخرافية الخرافية التي كانت تروى على لسان بعض الشخصيات، كذلك تقاليد القرية مثلاً ما اقيم عند وفاة العجوز رحمة... الخ .

تمثل القرية مكاناً طارداً للأبطال يضيق بالشخصيات بسبب القهر و التهميش دافعاً إياها إلى الرحيل إلى فضاء المنفى مثلما حدث مع شباب القرية ، أو إلى العاصمة مثل نفيسة ؛ حيث يتصورونها مكاناً للحرية ، وموطن الحياة الكريمة و العدالة الاجتماعية . كذلك اشتغلت الرواية على الذاكرة باستعادتها للماضي من خلال استرجاع بعض الشخصيات للزمن التاريخي " الثورة المسلحة".

تنوعت أساليب و طرق تقديم الأمكنة في الرواية ، إذ يمثل الفصل أداة مهمة في تصوير المكان و تجسيد تفاصيله و أشيائه، إضافة إلى تقنية الوصف التي استعانت بها الرواية في تقديمها للأمكنة - تقنية الحوار - كذلك وضفت أساليب سردية متنوعة جرى توظيفها بطرق تخدم المكان فكشفت لنا أبعاده و دلالاته مثل التذكر و الحوارات المختلفة بين الشخصيات .

كما اهتمت الرواية بعنصر الزمن حيث بدا المكان محدداً بعنصر الزمن وبدأت الشخصية متلازمة مع المكان ، كذلك كشفت لنا الرواية عن الصراعات المكانية التي عاشتها الشخصيات الروائية لعل أهمها: الصراع على الأرض زمن الثورة و بعده، كذلك صراع الذات المثقفة في الريف .

لا يمكن إدراك المكان بمعزل عن عنصري الرواية الآخرين : الشخصية ، الزمن لأنه بدونهما يعد مجرد مكان جاف لا يتعدى حدوده الجغرافية في حين يتحول بهما إلى فضاءات مكثفة الدلالات .

-الزمن شديد الإلتحام بالمكان فهما يشكلان خطين متوازيين ينتج حين تحريك الزمن من خلال المفارقات الزمنية فضاءان متقابلان هما الفضاء المترجع الذي نعود من خلاله

بالمكان إلى وراء ، و الفضاء المستبق الذي نقفز عبره بمكان نحو المستقبل ، كما يتولد
فضاء ثالث هو الفضاء اليومي

و في الأخير لا يدعي البحث الإمام التام بموضوع المكانية في رواية " ربح لجنوب
" لكن ارجوا أن أكون قد وفقت و لو بشيء بسيط في معالجة هذا الموضوع.

تم بحمد الله في 15 - 05 - 2015 المسيلة

خلاصة

تناول البحث موضوع المكانية في الرواية الجزائرية، و على وجه الخصوص " رواية ربح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، حيث تضمن البحث مقدمة و ثلاثة فصول، وخاتمة ؛حيث يمثل الفصل الأول منه مدخلا إلى المكان و المكان الروائي، تناولت فيه مفهوم المكان في اللغة و الفلسفة و الأدب، كما ركز على أهمية المكان الروائي، في حين خصص الفصل الثاني لرصد أهم الأنماط المكانية التي تتوفر عليها الرواية المختارة تم معالجتها وفق مبدأ التقاطب المكاني المفتوح و المغلق، ويصل البحث في الأخير إلى استقصاء الدلالات المكانية في هذه الرواية ، حيث خصص الفصل الثالث لجدلية المكان و علاقاته مع مكونات السرد الأخرى "الأحداث – الشخصيات – الزمن"

و في الأخير توصل البحث إلى خاتمة لممت فيها كل ما توصلت إليه من نتائج، لعل أهمها تأثر المكان بمجريات الواقع الاجتماعي و تحولاته.

Résumé

Le thème spatiale de la recherche dans le roman algérien, et en particulier, «un roman Vent du Sud" à Abdul Hamid bin Hdoukh, où la garantie Trouvez Introduction et trois chapitres et une conclusion, où le premier chapitre est une introduction à l'endroit et romancier place, qui traite de la notion de lieu dans la langue et la philosophie et la littérature, ont également porté sur l'importance de la romancière place, tandis que le deuxième chapitre de surveiller les tendances spatiales les plus importantes disponibles pour roman sélectionné a été traité conformément au principe de polarité spatiale ouvert et fermé, et la recherche dans ce dernier pour enquêter sur l'espace sémantique dans ce roman, qui a été attribué Chapitre III de la dialectique de l'endroit et de ses relations avec les autres composantes de la narration "Alohaddat– personnalités – temps."

Dans les dernières recherches pour arriver à une conclusion qui a conçu tous les résultats, peut-être les plus importants lieux touchés les habitants et les réalités

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرءان الكريم ورش

المصادر

عبد الحميد بن هذوقة ، ریح الجنوب، ط5، المؤسسة الوطنية للكتاب

المراجع

أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ط1 ، الأردن ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، 2001

اويدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة) ، دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، 2009

بشير بو يجرة محمد: بنية الخطاب الروائي الجزائري، 1986/1970، جماليات و إشكاليات الإبداع، ط1، دار المغرب للنشر و التوزيع، 2002/2001 ج2

بهيجة مصري ادلبي، الزمن بين الخيال و العلم، دار عبد المنعم ناشرون، 2005

حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمان – الشخصية) المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ، 1990

حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة و الاعلام، بغداد العراق، ط1، 1987

حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1

بيروت

الرازي : مختار الصحاح ، تح تع ، مصطفى ديب البغا ، دار الهدى للطباعة و النشر ،
عين مليلة ، الجزائر ، ط 4

الزمخشري : أساس البلاغة ، تح ، باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان
، ج 2 ، ط 1 ، 1998

سيز قاسم : القارئ للنص العلامة و الدلالة ، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، 2002
سيزا درزا، بناء الرواية العربية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية
العامة للكتاب 1998

عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاجتماعية ، ديوان المطبوعات
الجامعية، الجزائر، د.ط ، 1987

عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، ط1، تونس، دار محمد علي
للنشر و التوزيع، 2003

عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية الصورة و الدلالة، ط1، تونس، دار محمد علي
للنشر و التوزيع ، 2003

عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة المجلس الوطني
للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د.ط، 1998

عمر بن قينه، الريف و الثورة في الرواية الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،
1988

عمرو عيلان، الايدولوجيا و بنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد
الحميد بن هدوقة، الجزائر، منشورات جامعة منتوري، 2001

محمد تحريشي ، أدوات النص ، إتحاد الكتاب العرب ، 2000

محمد جبريل، مصر المكان، دراسة في القصة و الرواية ط2، المجلس الأعلى للثقافة ،
2000 .

محمد عزام : تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد كتاب العرب
، دمشق، 2003

محمد عزام : تحليل الخطاب الروائي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دمشق، منشورات
اتحاد كتاب العرب ، 2003

محمد علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة و مباحثها ، دار المعرفة الجامعية،
الاسكندرية ، ط2، 1984

محمد يعقوبي: الوجيز في الفلسفة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط.3 ، د.ت ،
2000

مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د.ط ، 2007

المصطفى مويقن، تشكل المكونات الروائية، ط1، سورية، دار الحوار للطباعة و النشر و
التوزيع،

مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق
2011

ينظر بأديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد
الأردن، 1429هـ/2008م

ينظر سمير المرزوقي و جميل شاكّر، مدخل الى نظرية القصة ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، الدار التونسية للنشر ، ص 62- 63
ينظر شاكّر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ط1 ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ص 1994 ، ص 15-21.

يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم،بيروت لبنان،د.ط،د.ت

الفهارس و المعاجم

ابن منظور : لسان العرب ، المجلد 13 ، دار صابر ط4 ، بيروت ، لبنان ، 2005 .
أحمد رضا : معجم متن اللغة ، المجلد 05 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1960 .
جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، عربي انجليزي ، لاتيني ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1994
الرازي : مختار الصحاح ، تح ، تع ، مصطفى ديب البغا ، دار الهدى للطباعة و النشر عين مليلة ، الجزائر ، 1990 .
مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء ، للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د ط ، 2007 .

المراجع المترجمة

ألان روب جرييه: نحو رواية جديدة ، تر مصطفى ، دار المعارف د.ط ، مصر
أمندلاو : الزمن والرواية ، تر: بكر عباس ، ط1 ، بيروت ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، 1997

أدوين موير،بناء الرواية،تر:إبراهيم العبيدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الدار المصرية جوزاف إكسبر : شعرية الفضاء الروائي ، تر حسن بوحمامة ، افريقيا الشرق ، المغرب ط 1 ، 2003 .

جيرارد جينيت : خطاب الحكاية ، بحث في المنهج ، تر محمد المعتصم و آخرون ، ط3 ،
الجلس الأعلى للثقافة ، 2003

جينيت و آخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، المغرب إفريقيا الشرق، 2002،
سبيتانوف، عبد الحميد بن هدوقة: الكاتب الكلاسيكي الحي، مجلة التبیین، العدد8، الجزائر
ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحضية

غاستون باشلار: جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر
و التوزيع ، ط2 ، بيروت لبنان (1014هـ / 1984م)

ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ير: فريد انطونيس، ط2، بيروت : منشورات
عويدات، 1982

يوري لوتمان : جماليات المكان، عيون المقالات الدار البيضاء، ط2، 1988، دار قرطبة،
تر: سيزا قاسم درزا

الرسائل الجامعية

بلعربي جمال، تحليل الخطاب السردي لروايتي "ريح الجنوب" و " غدا يوم جديد" للكاتب عبد
الحميد بن هدوقة، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005/2006

عمار زايد، الرواية العربية الجزائرية عند نقاد الاتجاه الواقعي بين النظرية و التطبيق، اطروحة
دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2001/2002م

منصور عمايرة، جمالية البناء الزماني والفضائي في رواية حارسة الظلال لواسيني
الأعرج، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/ 2007

الدوريات

الملتقى الدولي العاشر ، عبد الحميد بن هدوقة ، الجزائر : إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج ، 2008

جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 1051، التحولات في المكان و الشخص و تداخل الأزمنة
14/04/2007.

عبد الحق منصور بوناب :واقعية المكان في قصص السائحي ، المجلة العلمية، حوليات الآداب و اللغات ، العدد1، المسيلة ، الجزائر2013

عمرو عيلان، الايدولوجيا و بنية الخطاب الروائي،دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة،الجزائر،منشورات جامعة منتوري، 2001

مجلة التبيين،العدد19، الجزائر ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحضية،2002

مجلة التبيين،العدد8، الجزائر ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحضية،1994

مجلة التبيين،العدد8، الجزائر ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحضية،1994

مجلة الثقافة 115 ، وزارة الثقافة و الاتصال 1995

الملتقى الدولي الأول، عبد الحميد بن هدوقة، الجزائر،إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج،1998

فهرس المحتويات

فهرس

مقدمة.....	أ-ج
فصل تمهيدي : مدخل إلى المكان الروائي	
1- مفهوم المكان	06
1-1-المفهوم الغوي لمصلح المكان	06
2-1-المفهوم الفلسفي للمكان	08
3-1-المفهوم الأدبي للمكان	11
أ-المكان في النقد الغربي	12
ب-المكان في النقد العربي	13
4-أهمية المكان	15
5-أنواع المكان	17
الفصل الأول : أنواع الأمكنة في رواية ربح الجنوب	
1-1-القرية	26
2-1-دار ابن القاضي	32
3-1-غرفة نفيسة	34
4-1-بيت رحمة	35
5-1-بيت رابح	37
6-1-المقبرة	39
2-الأمكنة المفتوحة	
1-2-المقهي	41
2-2-النافذة	43
3-2-الطريق	45
4-2-الجزائر العاصمة	48
5-2-الشارع	51
6-2-البحر	51
7-2-فرنسا	54
الفصل الثاني : علاقة المكان بمكونات السرد (الأحداث ، الشخصية ، الزمن)	
1-علاقة المكان بالأحداث	56
2-علاقة المكان بالشخصية	63
1-2-علاقة نفيسة بدار ابن القاضي	64
2-2-علاقة نفيسة بغرفتها	66

66.....	2-3-علاقة نفيسة بالقرية
67.....	2-4-علاقة نفيسة ببيت رابح
	2-2-علاقة ابن القاضي بالمكان
68.....	2-1-علاقة ابن القاضي بالأرض
69.....	2-2-2-علاقة ابن القاضي ببيت الراعي رابح
70.....	2-3-علاقة رابح بالمكان
70.....	2-3-1-علاقة رابح بدار ابن القاضي
	2-4-علاقة مالك بالمكان
70.....	2-4-1-علاقة مالك بدار ابن القاضي
72.....	2-4-2-علاقة مالك بالقرية
72.....	علاقة المكان بالزمان
81.....	الخاتمة
	ملخص الرسالة باللغة الفرنسية
	قائمة المصادر و المراجع
	الفهرس